لم نخرج سالمين

رواية

أماني سليمان

لم نخرج سالمين

رواية خيالية

للكاتبة أماني سليمان

كان سامر واقفاً أمامها، ملامحه مرتبكة بطريقة لم تعتدها عليه الرجل الذي كل شيء لديه محسوب ومدروس، فجأة أصبح يبلع ريقه من شدة التوتر لا يعرف أين ينظر

«منذ متى وأنتِ هنا؟»

قالها وهو يتنفس بسرعة كأنه يلحق بنفسه خوفاً من أن يفلت منه الكلام

لم تجبه، كانت تنظر له النظرة اللي كانت تربكه منذ أن بدأت المهمة

نظرة ثابتة... صامته... تقول أكثر من ألف كلمة دون أن تنطق بحرف

لم تفهم لماذا سامر يخاف عليها بهذا الشكل... أو قد فهمت وتجاهلت شيء داخله ينكسر في كل مرة يراها تقترب من عالم لا يشبهها أشاحت بنظرها لحظات ثم نظرت له وقالت بهدوء:

«تعرف الجواب؟»

شهقة خفيفة خرجت من صدره دون إرادة هذا السؤال الذي كان يهرب منه من البداية لأن الحقيقة إنّه يعرف...

يعرف إنها تغيّرت من يوم المهمة، وإنه تغيّر هو أيضاً، وإن العالم الذي دخلته لا يسمح لأي أحد يبقى "بريء".

اقترب خطوة... خطوة محسوبة أراد أن يتكلم، علّه يكسر صمته الطويل

لكنه وقف فجأة عندما لاحظ ظل خفيف انعكس على الجدار خلفها شدّ جسده بالكامل «انتظري... لا تتحركين»

تملك منها الخوف للحظة، ليس خوف على نفسها، خوف من طريقته ونبرة صوته هذا الصوت الذي لم تسمعه إلا وقت الخطر الحقيقي

فتح الباب بسرعة نظر يمين ويسار لكنه لم يجد أحد عاد لها ونظرات عينيه لا تبشر بالخير أبدًا «المكان ليس آمن»

قالها بصوت منخفض وكأنه يخاف أن يسمعه أحد شهقت شهد بخفة، أول مرة تشعر إنها فعلًا ليست بخطر بسبب المجرم بل بسبب شيء أكبر... شيء يراقب لكن لم يره أحد

قال سامر وهو ينظر نحو يدها «لماذا يدك ترجف؟»

رفعت يدها بلا وعي كانت فعلًا ترتجف ليست خائفة بل تشعر بثقل شيء لم تستطع أن تقوله بعد ترددت لحظة ثم مدّت له الظرف اللي استلمته بآخر زيارة السواد مرّ على وجهه عندما رأى الظرف رفعه بإصبعيه وكأنه يمسك قنبلة «من أين لك هذا؟»

لم تستطع شهد التنفس للحظة ثم همست بصوت منخفض، أقرب للانكسار «هو... أتى قبل كم يوم»

تجمّد سامر كلمة (هو) لوحدها كانت كافية تعصف به رفع رأسه ونظر إليها بحدة لم يقدر أن يخفيها «أتـــى؟! أتى إليكِ؟ شهد... تكلمي!»

كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها شهد تهرب بعينيها عنه أول مرة لا تعرف كيف ترتّب الكلام «لم يلمسني... لم يؤذيني...»

هز راسه مقاطعًا بنبرة موجوعة «لم تفهمي الموضوع هو ليس شخص عادي وجوده حولك مصيبة»

سكت لحظة نظر لها بنظرة طويلة كأنها أطول من كل الأيام التي عاشها «إن عاد أو حاول الاقتراب أو حاول إرسال شيء ما أخبريني من فضلك أنا لا أريد أن أخسركِ»

كلمة أخسركِ كسرت شيء ما داخلها للحظة ليس لأنه قالها بل لأنه قالها بصدق جعلها تخاف لكن قبل أن ترد ظهر إشعار على جهاز سامر نظر له بسرعة وتغيّرت ملامحه بطريقةٍ لم تراها شهد أبداً من قبل

«شهد ادخلي للمنزل فورًا هناك شيء ما يحدث...شيء كبير»

مدّ لها الظرف «خبيه لا تفتحيه لا تتركيه سوف أعود... أعود عندما أستطيع العودة»

تركها واقفة لوحدها وفي صدرها سؤال واحد هل هو سامر الذي يخاف عليها أم الشي الذي كان يراقب ظلها على الجدار؟

كانت شهد تقف أمام باب منزلها، تحمل الظرف بيد ترتجف رغم كل قوتها الهواء بدا أثقل مما يجب، وكأن العالم يوشك أن ينهار فوق رأسها دون أن يعلن ذلك صراحة خطوات سامر ابتعدت مسرعة، لكن أثرها بقي معلقًا في المكان لم يكن يهرب بل كان يسابق شيئًا لا يرغب شهد أن تعرفه بعد رفعت يدها نحو صدرها تحاول تهدئة اضطراب لم تعهده

لم تكن تعرف أيهما أثقل في صدرها عودة «الظل» أم خوف سامر عليها دخلت المنزل ببطء، وأغلقت الباب وكأنها تحاول إغلاق الفوضى خارجًا وضعت الظرف على الطاولة أمامها، وظلّت تحدّق به طويلًا، كأن مجرد رؤيته يحمل ذكريات لم تلمسها بعد أغمضت عينيها كانت تشعر بتناقضات غريبة تشتعل في داخلها؛ قوة تشدّها لتفتح الظرف وخوف يهمس لها بأن اللحظة غير مناسبة لم تلمسه لم تقترب منه لكن وجوده وحده كان كافيًا لنسف كل هدوئها

في تلك الليلة، لم تستطع النوم كانت تتقلب، تبحث عن تفسير لكل ما حدث ثم تعود إلى نقطة واحدة فقط لماذا عاد؟

ولماذا ترك الظرف عندها هي بالذات؟

كانت تعرف أنها لم تكن سوى «جزء من مهمة»

لكن ما حدث لم يعد يشبه أي مهمة

في الجهة الأخرى من المدينة كان سامر يقف أمام شاشة مليئة بإشارات حيّة من وحدات المراقبة وجهه متوتر، عيناه متسعتان، وملامحه متوترة على نحو يليق برجل أدرك فجأة أن شيئًا كبيرًا بدأ يتحرك في الظلام تقدّم أحد الضباط قائلاً:

«سيدي وردتنا إشارة مجهولة المصدر يبدو أنها من الشخص ذاته الذي سرّب المعلومات السابقة»

رفع سامر رأسه بسرعة «الظل؟»

«نعم، سيدي لا نعرف إن كانت خدعة أم تحذير الإشارة تحمل رمزًا جديدًا ولم نفكّه بعد»

سكت سامر لحظة ثم نظر إلى الخريطة الرقمية الممتدة أمامه كان هناك نقطة حمراء تومض ببطء ليس في المرفأ، ولا في المستودعات بل قرب الحي الذي تسكن فيه شهد تجمّد للحظة:

«التقطوا الإشارة كاملة سأذهب بنفسي»

حاول أحدهم الاعتراض: «سيدي، قد يكون فخًا»

أجاب بنبرة حازمة لا تقبل نقاشًا «إن كان لن أسمح أن تكون هي لهدف»

في المنزل، بقيت شهد جالسة على الكنبة، تحدّق في الفراغ لم يكن الظرف وحده ما يقلقها بل ذلك الظل الذي انعكس خلفها قبل أن يفتح سامر الباب لم يكن ذلك من خيالها كانت متأكدة تمامًا أن هناك من راقبها من زاوية لم ترها شعرت بقشعريرة تعبر ظهرها ثم...

سمعت طرقًا خفيفًا على الزجاج خلف الستارة رفعت رأسها ببطء عينان تتسعان شيئًا فشيئًا...جسد يتجمّد...ثم هبطت يدها على صدرها في محاولة لكتم الصرخة كان هناك ظل يتحرك خارج النافذة ليس ظل المجرم...ولا ظل سامر...ولا ظل عامل مارّ...بل شيء آخر تمامًا

شيء يراقب... لا يتحرك... لا يتنفس... فقط ينتظر

وبينما كانت تحدّق فيه اختفى كما لو أنه لم يكن موجودًا ارتعشت أنفاس شهد، وتراجعت خطوة إلى الخلف، ثم أخرى حتى شعرت بجدار يلامس كتفها وضعت يدها على الطاولة وسمعت صوت الورقة داخل الظرف تتحرك بخفة التفتت إليه ببطء وبدا كأن ما بداخله يعرف أنه ليس مجرد ورقة بل بداية شيء...شيء لا عودة بعده قربت يدها منه...ثم تراجعت همست لنفسها: «لا... ليس الآن»

وبينما كانت تقف في صمت ثقيل رنّ هاتفها فجأة شعرت بقلبها يقفز

نظرت إلى الشاشة سامر يتصل لم تُجب شهد فور رؤية اسم سامر على الشاشة كانت يدها ترتجف، ليس خوفًا منه بل من الثواني التي تسبق الرد ثوانٍ قد تحمل حقيقة أو تهديدًا أو بداية لانهيار جديد

ضغطت على زر الإجابة بصمت «شهد؟»

كان صوته منخفضًا، متوترًا على نحو لم تعهده منه من قبل «نعم...»

خرجت الكلمة من فمها وكأنها لم تجد طريقها للحبال الصوتية إلا بصعوبة سكت لثانية كأنّه يلتقط أنفاسه قبل أن يقول شيئًا لا يريد قوله ثم تابع بنبرة خافتة «هل أنتِ في المنزل الآن؟»

«نعم»

«أغلقي النوافذ كلها الآن»

جمدت مكانها، وصدى الكلمات يتردد في رأسها «سامر ماذا يحدث؟»

لم يجب فورًا كان هذا وحده كافيًا ليشعل قلقًا حادًا في صدرها ثم قال ببطء شديد «وصلتنا إشارة... مصدرها قريب من منزلك ليست من الظل... بل من طرف آخر»

شهقت شهد دون صوت تذكّرت الظل خلف نافذتها الحركة التي لم تستطع تفسيرها ثم اختفاءه «هل... هل يمكن أن يكون أحد يراقبني؟»

أجاب سامر بصوت عميق، يحمل خوفًا لم يخفه «ليس يمكن... بل شبه مؤكد وأنا في طريقي إليك ولكن... اسمعيني جيدًا، شهد»

سكتت تنتظر «لا تقتربي من الظرف ولا تحاولي فتحه مهما حدث»

نظرت إليه... إلى ذاك الظرف الصغير الذي وضعته بجانب المصباح

بدا الآن أكبر من حجمه بكثير وكأنه يحمل روحًا كاملة، لا ورقة «لماذا؟»

همست بها كأنها تخاف من سماع الجواب «لأننا اكتشفنا شيئًا...»

بلع ريقه «هناك جهة ثالثة في القضية»

رفعت رأسها ببطء «ثالثة؟»

«نعم ليست الشرطة وليست المنظمة التي يعمل معها الظل هناك طرف ثالث مجهول، لديه تكنولوجيا معقّدة، ويستطيع التقاط الإشارات من أماكن لا يمكن رصدها عادة»

ارتعشت يد شهد فجأة لم يعد الظل هو الخطر الأكبر بل شيء خفي، لا اسم له، لا وجه تابع سامر «الإشارة التي تلقيناها قبل قليل جاءت من قرب نافذتك تمامًا»

شهقت شهد ووضعت يدها على فمها لم تكن تتخيل الظلال التي رأت انعكاسها قبل قليل لم تكن جزءًا من توهّم الليل كانت حقيقية

«سامر... أظنني رأيت شيئًا»

تغيّرت نبرة صوته فورًا: «ماذا رأيتِ؟»

«كان هناك شخص أو ظلّ خارج النافذة لم يتحرك فقط كان يراقب ثم اختفى»

انقطعت أنفاس سامر لثواني ثم قال بصوت منخفض لا يخفي الرعب الذي حاول السيطرة عليه «اخرجي من الغرفة الآن ابقي في الممر الداخلي وأنا على بعد دقائق فقط»

تحركت شهد بخطوات مترددة لكن قبل أن تصل إلى الممر سمعت صوتًا خفيفًا جدًا نقرة على الزجاج ...مرة ثانية ...ثم ثالثة التفتت ببطء وقلبها يسقط شيئًا فشيئًا كانت الستارة تتحرك ووراءها ظلّ يقف ثابتًا لا يتحرك ...لا يلوّح ...لا يهرب ...فقط يحدّق شهقت شهد بقوة، وسقط الهاتف من يدها تراجعت خطوة لكن الظلّ لم يتحرك وكأنه ينتظر شيئًا محددًا منها وبينما كانت تتراجع سمعت صوتًا من الهاتف الساقط على الأرض «شهد!!! هل تسمعينني؟ شهد!!!»

لكن الشيء الوحيد الذي كانت تسمعه هو ذلك الصوت الخافت القادم من النافذة.... نقرة...ثم نقرة...ثم صمت أثقل من الموت توقفت شهد في منتصف الغرفة، غير قادرة على التقدّم أو التراجع كانت المسافة بينها

وبين النافذة قصيرة... قصيرة جدًا لدرجة تخيف والستارة تتحرك كأن الهواء يمرّ، لكن لا نافذة مفتوحة، ولا ريح في الخارج مدّت يدها نحو صدرها، تتلمّس نبضًا ارتفع على غير عادته، ثم سمعت الصوت مجددًا نقرة خفيفة مدروسة كأن أحدًا يخبرها بأنه موجود تراجعت خطوة أخرى، اصطدمت بطرف الطاولة، فسقط الظرف على الأرض ارتفع صوت الورقة داخله، وكأنه يتنفّس ركعت بخفّة تلتقطه، لكن ما إن لامست أصابعها الورقة حتى شعرت بحرارة خفيفة تمرّ عبر جلدها سحبت يدها بسرعة حدّثت نفسها بصوت مرتجف «ما هذا؟ لماذا... أشعر وكأنه ينبض؟»

لم تكن الورقة تنبض بالطبع

لكن الخوف يجعل أبسط الأصوات ضربات قلب

مدّت يدها مرة أخرى، والتقطت الظرف، ثم هربت إلى الممر الداخلي

في الخارج كان الظلّ الذي انعكس على نافذتها قبل لحظات يقف في زاوية لا يصلها ضوء ...لا يتحرك ...لا يحاول الاقتراب كأن مهمته كانت فقط أن تتأكد شهد أنه موجود ويعرف مكانها ويستطيع الوصول إليها دون أن يشعر به أحد وبعد ثوانٍ اختفى كما لو لم يكن جزءًا من هذا العالم

داخل الممر، كانت شهد تحاول التقاط أنفاسها، في يدها الهاتف، وفي الأخرى الظرف المغلق الذي أصبح ثقيلًا كأنه قطعة من ليلٍ مظلم رفعت

الهاتف بصعوبة، ضغطت على زر السماعة صوت سامر انفجر فور وصولها إليه «شهد!! هل أنتِ بخير؟ تكلّمي أنا على بعد شارعين فقط!»

قالت بصوت متقطع «هناك... شخص... خارج النافذة كان واقفًا... ولم يتحرك ...سامر أنا لستُ متأكدة إن كان بشريًا حتى»

ساد الصمت للحظة على الطرف الآخر ثم جاء صوت سامر منخفضًا، لكنه حازم لدرجة لم تسمعها منه من قبل «إياكِ أن تفتحي الباب لأي أحد حتى أنا لن أطرق سأستعمل المفتاح الاحتياطي وإذا سمعتِ أي حركة لا تردّي»

«سامر ماذا يجري بالضبط؟»

«قلت لكِ هناك طرف ثالث وليس لدينا أي بيانات عنه لا اسم ولا وجه ولا طريقة عمل»

شعرت شهد ببرودة تتسلل بين كتفيها «وما علاقته بي؟»

«لا أعرف»

كانت الجملة وحدها كافية لتجعل الأرض تهتزّ قليلاً تحت قدميها

سامر الرجل الذي لا يترك سؤالًا بلا جواب

الضابط الذي يعرف أماكن الخطر قبل أن تظهر لا يعرف... تابع سامر بعد لحظة «لكن الظرف ذلك الظرف بالتحديد قد يكون هو السبب»

شهقت شهد دون إرادة نظرت إلى الظرف في يدها كان بسيطًا، لا يحمل أي علامات لكن إحساسًا داخليًا يقول إنه ليس مجرد ورقة

«سامر لقد سقط وسمعت صوتًا داخله»

«لا تفتحيه» نبرة صلبة، حادة، كأن خلفها قلقًا يحترق

«لكن...»

«قلت لكِ: لا تفتحيه ليس الآن ولا هنا»

وفجأة قطع صوته صوت آخر صفير خافت في الخلفية ثم صوت حركة سريعة ثم انقطع الاتصال «ســـامر؟!!» لم يجب «سامر أجبني أرجوك!»

لكن الخط كان صامتًا تمامًا صامتًا بطريقة تخيف أكثر من أي صرخة حملقَت شهد في الهاتف، ثم إلى الظرف الذي صار ثقيلًا في يدها وكأن شيئًا ما داخله يعرف أن سامر لم يعد على الخط ويستغل اللحظة وبينما كانت تقف في الممر، وظهرها للجدار، سمعت شيئًا جديدًا هذه المرة لم تكن نقرة على الزجاج بل خطوة داخل المنزل خطوة واحدة... هادئة... بطيئة...وكأن أحدًا يعرف طريقه في الظلام

سكنت شهد في مكانها لم تعد قادرة على الابتعاد أو الاقتراب كان الصوت واضحًا...خطوة واحدة فقط، لكن العالم كلّه بدا وكأنه توقّف في تلك

الخطوة رفعت رأسها ببطء، عينان تتسعان، أنفاس تُقطع نصف الطريق قبل أن تكتمل لم يكن الصوت قادمًا من الخارج ولا من خلف الباب بل من داخل المنزل من الجهة التي يفترض أن تكون آمنة من غرفة الجلوس التي كانت قبل دقائق مضاءة ومطمئنة لم تستطع تمييز إن كانت الخطوة حقيقية أم خيالًا نَبَتَ من خوف فجائي لكن قلبها كان يُصدق أنها حقيقية تمامًا وضعت يدها على الجدار، تتحسس طريقها في الظلام، محاولة ألا تصدر صوتًا ولو صغيرًا «سامر» همست الكلمة كأنها تتأرجح بين الدعاء والرجاء لكن الهاتف بقي صامتًا بجانب قدمها اقتربت خطوة إلى الخلف ثم أخرى وفجأة خفت صوت تنفّسٍ ليس لها تنفّس عميق منتظم قريب بما يكفي ليُسمع، وبعيد بما يكفي ليبقى متخفّيًا عقلها حاول تفسير الأمر:

– ربما انعكاس للصوت

– ربما مجرد وهم

– ربما الخوف يتحدث بدل الواقع

لكن شيئًا ما في الجدار المقابل تحرّك بلمعة صغيرة خافتة كأن عينًا واحدة تراقبها من الظلام دون أن تومض كتمت أنفاسها حتى شعرت بالألم في صدرها رفعت يدها ببطء، تحاول أن تلتقط الهاتف من الأرض دون أن تجذب انتباه صاحب ذلك النفس العميق مدّت أصابعها لامست طرف

الهاتف وفجأة طرقٌ قوي على الباب قفزت شهد من مكانها، وارتدت للخلف حتى اصطدم كتفها بالحائط وصوت سامر انفجر من خلف الباب:

«شهد!!! افتحي الباب حالًا!!!»

كانت حركته مستعجلة، ملهوفة، كأن الوقت ينفد من بين أصابعه لكن المشكلة لم تكن الباب المشكلة كانت أن النفس الذي سمعته قبل قليل توقّف تمامًا كأن الذي في الداخل يعرف أن سامر وصل ويعرف أنه يجب أن يختفي استدار الهواء فجأة شعرت به كدوامة صغيرة تعبر خلف كتفها ثم صمت ثم لا شيء وكأن أحدًا لم يكن هناك

اقتربت شهد من الباب بخطوات مرتبكة، ومدت يدها ترتجف لتفتح القفل فتحت الباب ببطء وجدت سامر أمامها، وجهه غاضب يائس مضطرب بطريقة لم ترها عليه من قبل كان يتنفس بصعوبة، كأنه ركض آخر ثلاثة شوارع بلا توقف «شهد...» قالها بنبرة منخفضة، ثم دخل مسرعًا وأغلق الباب خلفه بيد قوية «هل كان هناك أحد هنا؟»

نظرت إليه ثم إلى الغرفة ثم همست:

«لا أعرف لكن شيء كان هنا لا أعرف شكله ولا صوته ولا وجوده»

اقترب منها سامر ووضع يده على كتفها كانت يده ترتجف:

«لن أسمح بأن يمسك أحد بسوء أبداً»

لكن شهد شعرت وهي تنظر في عينيه أن الخطر هذه المرة لم يكن قريبًا منها فقط بل قريبًا منه أيضًا ومن الجميع خطر لم يُكشف خطر يراقب خطر يعرف حدود الظلام أفضل مما يعرفه البشر

على بعد أحياء قليلة من منزل شهد، كانت سيارة سوداء اللون متوقفة بجانب مبنى مهجور لا لوحات واضحة ولا ضوء داخلي ولا أي حركة توحي بوجود بشر لكن داخل السيارة كان هناك شخص يجلس في الظل، لا يظهر منه سوى انعكاس الضوء على يده فقط كان يضع سماعة دقيقة داخل أذنه، ويتابع صوتًا ما همسات تشويش بسيط ثم صوت صدى كأنه تسجيل قادم من جدار بعيد لم يكن الصوت واضحًا، لكن الكلمات المبعثرة كانت كافية

«شهد» «لا تفتحي» «هناك خطوة في الداخل» «سامر هل تسمعني؟»

رفع الشخص رأسه ببطء لم يكن مهتمًا بالأسماء ولا بالمهمة نفسها كل ما كان يعنيه الآن أن الإشارة وصلت وأنها أقوى مما توقّع بإصبعين فقط، زاد مستوى الصوت، ثم قال بهدوء تكاد البرودة فيه تُسمَع:

«إذن وصلت إلى المرحلة الثانية» ثم ضغط على زرٍ صغير، فتحوّل صوت شهد عبر السماعة من همهمات مشوّشة إلى صوتٍ واضح تمامًا كما لو

كان يقف على بعد مترٍ واحد منها في الممر الداخلي ابتسم بلا ملامح ثم قال : «الآن يمكن أن أسمع أنفاسها»

داخل البيت كان سامر يجول بعينيه في كل زاوية يتفقد الممر غرفة الجلوس النافذة وكأنه يحاول أن يشمّ وجودًا ما شهد تراقبه، يده على مسدسه، عينيه لا تثبتان في مكان واحد كان مختلفًا مشدودًا لكن ليس خائفًا سامر لا يخاف لكنه يشعر بشيء لا يعرف وصفه التفت نحوها فجأة «شهد هل يمكنكِ أن تخبريني بصدق هل شعرتِ بأن أحدًا كان خلفك؟ قريبًا منك؟»

ترددّت للحظة ثم قالت:

«نعم شعرتُ بنفَس وصوت خطوة ثم اختفى كل شيء»

سقطت الكلمات من فمها كأحجار ثقيلة نظر سامر إلى الباب، ثم إلى الظلام، ثم اقترب منها قليلًا وكأنه يريد أن يقول لها شيئًا ولا يستطيع رفع الظرف من يدها، نظر إليه طويلًا وقال بصوت منخفض

«هذا الشيء ليس رسالة»

شهد مستغربة «إذن... ما هو؟»

أعاد النظر إلى الظرف بعين مضطربة قليلًا:

«لا أعرف لكن ما أعرفه أنه ليس موجَّهًا لكِ وحدك»

تراجعت شهد خطوة فأضاف سامر:

«هناك من يرسل رسالة لي أيضًا وليست رسالة لطيفة»

وفجأة صدر صوت خافت من الظرف نبضة ثم ثانية نبضة تشبه دقّة قلب لكنها ليست كذلك ورفّة صغيرة كأن شيئًا داخل الورقة يريد الخروج رفعت شهد نظرها ببطء وقالت بصوت يكاد يكون همسًا

«سامر لماذا أشعر وكأن أحدًا ينظر إلينا الآن؟ من مكان لا نراه؟»

لم يجب سامر لأن السؤال لم يكن موجهًا له وحده كان موجهًا أيضًا لذلك الشخص الذي يجلس في الظل ويستمع لأنفاسهما ظلّ سامر ممسكًا بالظرف، وكأن الورق صار أثقل من أن يكون ورقًا، وأخفّ من أن يكون شيئًا منطقيًا شهد حدّقت في يديه، ثم رفعت بصرها إلى عينيه ولأول مرة تنتبه أن سامر في قلق لا يشبهه قلق قلقلاً يتجاوز المهمة ويتجاوز الغيرة ويتجاوز حمايته لها... شيء آخر تمامًا قالت بصوت خافت:

«سامر أنت لا تخبرني كل شيء»

أغلق عينيه لثانية وكأنه يكره تلك الجملة منها تحديدًا ثم فتحهما وقال:

«لأن هناك أشياء لا أستطيع تفسيرها وأنا نفسي لا أفهمها»

تقدّمت شهد خطوة نحوه «مثل ماذا؟»

لم يقل شيئًا بل رفع الظرف قليلًا ثم وضع أذنه عليه

شهد: «ماذا تفعل؟!»

رفع إصبعه طالبًا منها الصمت ظلّ ثواني يستمع ثم ابتعد ببطء وقال بصوت منخفض حدّ الهمس: «هناك شيء يتحرك داخل الورقة»

ارتجفت شهد من رأسها إلى قدميها «تتحرك؟ كيف؟ الورق لا يتحرك»

لم يجب لأن التفسير المنطقي الوحيد غير منطقي.

في الخارج عند الزاوية القريبة من البيت، كانت السيارة السوداء نفسها

ما تزال في مكانها لا أحد يقترب منها، ولا أحد ينتبه لوجودها داخلها، الشخص المجهول ضغط زرًا صغيرًا فتحرك مؤشر على الشاشة أمامه، بيانات تصعد وتهبط، أرقام تتوهج، وسطر واحد يظهر ويتكرر:

"الإشارة وصلت إلى كليهما"

ابتسم لم تكن ابتسامة سرور ولا شماتة ولا حتى تهديد كانت ابتسامة شخص يرى خطته تتحقق بالضبط كما وضعها

وهمس لنفسه «الورقة تعمل كما يجب»

قال سامر فجأة: «أين وجدته بالضبط؟»

«على عتبة الباب كأنه وُضع قبل دقائق من دخولي»

«لا،» قالها سامر بثقة غريبة، ثم التفت نحو النافذة

«الذي وضع الظرف لم يقف عند الباب»

رفرفت أهداب شهد بدهشة «ماذا تعني؟»

«تعني أنه لم يأتِ من المدخل أصلاً ولم يمرّ من باب البناية ولم تلتقطه الكاميرات الخارجية؟»

اقتربت شهد خطوة، كان عقلها يتقلّب بسرعة «إذن... من أين دخل؟»

رفع سامر يده وأشار نحو السقف ثم إلى الجدار ثم إلى الزاوية التي كانت مظلمة قبل قليل «المكان الوحيد الذي لا يملكه بشر عاديون ولا مجرمون ولا حتى الشرطة هو المكان الذي ظهر منه الظل أول مرة»

كانت جملته ثقيلة تنزل ببطء على صدر شهد

«تريد القول إن من وضع الظرف كان داخل البيت؟»

أجاب سامر دون تردد «أو... لم يغادر أصلًا»

شهقت شهد لكن قبل أن تنبس بشيء اهتز الظرف فجأة بيد سامر ليس اهتزازًا قويًا بل اهتزاز خافتًا كالنبضة مرة واحدة ثم توقّف نظر سامر إلى شهد، ثم إلى الورقة، وقال بثبات لا ينسجم مع اضطراب عينيه:

«شهد يبدو أن الظرف يعلم أننا نتحدث عنه»

لم يكن المكان الذي يجلس فيه الظل واضحًا لا ملامح، ولا أثاث، ولا ضوء كافٍ لكشف أي شيء حوله كل ما كان يظهر يداه

إحدى يديه مسترخية على الطاولة والأخرى تقلب بين أصابعه شيئًا صغيرًا ربّما خاتمًا ربّما جهازًا ربّما بقايا ورقة لكن الواضح أن الشيء كان يعني له أكثر من حجمه

كان الظل يستمع ليس لصوت شهد هذه المرّة، ولا لصوت سامر بل لصوت آخر، معدنيّ، مشوّه، وكأنه قادم من خلف جدارٍ لا ينتمي لهذا العالم همس الصوت من الجهاز الصغير: «المرحلة الثانية... اكتملت»

رفع الظل رأسه ببطء لم يتفاجأ لكن شيئًا في عينيه وإن لم نره كان يشبه رفضًا داخليًا همس بصوت منخفض، كأنه يتحدّث مع نفسه:

«لم أطلب منكم التدخّل ولا الاقتراب منها»

الصوت المشوَّه عاد من الجهاز «المهمة ليست لك وحدك»

قبض الظل على الشيء بين أصابعه حتى كاد يتحطم

«لكنها ليست لهم أيضاً» ساد صمت طويل ثم قال الصوت المعدني:

«أنت متأخر عن فهم قواعد اللعبة»

ردّ الظل بصوت حاد، لكن هادئ بما يكفي ليخيف:

«أنا لا ألعب هم يفعلون وأنا أحاول فقط أن أسبق الخطوة التالية قبل أن يسقط أحد»

انطفأ الصوت من الجهاز وبقي الظل في مكانه، يده ترتجف قليلاً غضبًا؟

خوفًا؟ لا يمكن الجزم ثم رفع رأسه ونظر إلى نقطة ما في الظلام، وكأنّه يرى شيئًا لا يمكن إدراكه وقال بصوت أشبه بتحذير

«شهد ابتعدي عن هذه الدائرة قبل أن يختار الطرف الثالث من سيُمحى»

كان سامر يحدّق بالظرف كأنه لغز قديم جاء ليوقظه شهد تحدّق به والبيت يضيق عليهما، كل زاوية كأن فيه أشبه بخطر غير مرئي

«سامر...» قالتها وكأنها اكتشفت شيئًا للتو

«أشعر أن ما يحدث أكبر مني ومنك أيضاً»

التفت إليها ببطء «لهذا السبب عليّ ألا أتركِ وحدك بعد الآن»

لكن شهد لم تقتنع أو ربما شعرت أن كلامه لا يكفي

«سامر...» همست بخوف لم تستطع إخفاءه

«هل تعتقد أن هناك أحدًا مازال هنا؟ في البيت؟»

كانت تنتظر منه طمأنينة لكن سامر لم يعطِها لم يقل «لا» لم يقل «نعم» لم يقل أي شيء بل رفع سلاحه وتقدّم ببطء نحو الممر المؤدي لغرفة النوم تغيّرت نبرة صوته بالكامل «ابقَي خلفي ولا تتحركي إلا إذا قلتُ لكِ»

تجمّدت شهد ثم سألته بشقّ نفس «سامر هل ترى شيئًا؟»

لم يلتفت إليها لكنها لاحظت شيئًا مخيفًا طريقة وقوفه تغيّرت كتفه شدّ نَفَسُه انخفض يده صارت ثابتة أكثر من اللازم وكأنه رأى شيئًا لا يجب أن يُرى قبل أن تنطق قال سامر بصوت خافت جداً:

«شهد هناك شخصٌ آخر هنا»

لم تتحرك شهد كانت واقفة خلف سامر تمامًا، والظلام في الممر يبدو كأنه يتنفّس، كأنه حيّ أو كأن أحدًا داخله يحاول ألّا يُسمع ...سامر رفع سلاحه ببطء حاد محسوب بطء لا يفعله إلا عندما يكون الخطر على مسافة خطوة واحدة همس لها دون أن يلتفت

«أي حركة أي صوت أي نفس زائد أخبريني فورًا»

لم تستطع الرد صوتها عالق بين الخوف والصدر.

تقدّم سامر خطوة ثم ثانية وفجأة أشار بيده بصمت حاد كي تتوقف... توقّفت شهد حتى شعرت بقدميها تنغرس في الأرض قال سامر بصوت منخفض جدًا: «هناك حركة... خلف الباب»

رفرفت أنفاس شهد تراجعت خطوة صغيرة لكن سامر رفع يده سريعًا:

«لا تتحركي»

اقترب من الباب، وضع يده عليه لمسه من طرف أصابعه كأنه يتحقق إن كان دافئًا، أو إن كان أحد خلفه فجأة خبط شيء من الداخل ضربة واحدة قوية كأن شيئًا سقط أو كأن أحدًا رمى نفسه على الأرض

شهقت شهد، لكن سامر دفعها للخلف بخطوة سريعة، ثم همس:

«ارجعي... ارجعي الآن!»

فتح الباب بعنف رفع سلاحه دخل الغرفة بسرعة خاطفة لكن الغرفة كانت فارغة فوضى صغيرة فوق الطاولة ستارة تهتز رغم أن النافذة مغلقة ومصباح جانبي مائل وكأن أحدًا لمس كل شيء ثم اختفى قبل ثانية واحدة فقط قال سامر بصوت مشدود: «كان هنا قبل أن أفتح الباب أنا متأكد»

شهد وقفت عند المدخل، يديها على صدرها، صوتها يكاد لا يسمع

«كيف يختفي بهذه السرعة؟ الغرفة لا مخرج لها»

سامر لم يجب عينيه تتابعان كل ذرة غبار في الجو ثم فجأة لاحظ شيئًا صغيرًا جدًا على الأرض انحنى ببطء، التقطه كان شريحة إلكترونية دقيقة بحجم ظفر رفعها، قلبها بين أصابعه، ثم قال بصوت مبحوح

«هذه ليست منهم وليست من الظل»

شهقت شهد «إذن... من؟»

رفع سامر رأسه ببطء، نظرة عينيه هذه المرة لم تكن خوفًا كانت صدمة

«هذا يخص جهة نلاحقها منذ ثلاث سنوات جهة لا اسم لها لا مكان لا أثر والأسوأ لا أحد يعرف لماذا تظهر ولا لمن تعمل»

اقترب من شهد خطوة وقالت له: «سامر...هل أنت... خائف؟»

قال دون تردد: «لأول مرة... نعم»

في السيارة السوداء الرجل في الظل رفع جهازًا صغيرًا، وعليه ضوء أحمر خافت الضوء الأحمر انطفأ ثم ظهر على الشاشة سطر جديد:

"تم وضع الشريحة بنجاح"

ابتسم الرجل قليلًا ثم قال بصوت منخفض:

«عظيم الآن سيقودون أنفسهم إليّ دون أن أدخل منزلهم مرة أخرى»

ضغط زرًا آخر فانتقل الصوت عبر السماعة «سامر...هل تسمعني؟»

طقطق الصوت للحظة، ثم ظهر صوت سامر واضحًا «هذه ليست منهم»

ابتسم الرجل، وهمس بسخرية ناعمة:

«بالطبع ليست منهم يا سامر أنت تفكّر بطريقة أبطأ مما توقعت»

ثم أطفأ الجهاز وبقي الصوت الأخير الذي سمعه نبضة صغيرة داخل الظرف كانت شهد تقف وسط الغرفة، تراقب سامر وهو يقلب الشريحة، ثم الظرف، ثم يعود للنظر إلى الباب شعرت أن العالم أصبح ضيقًا جدًا وأنه ليس هناك متسع للهواء فجأة أطلق الظرف صوتًا خافتًا ثم اهتزّ بقوة

ارتدّ سامر خطوة، صوّب سلاحه نحو الظرف وكأنه يواجه كائنًا حيًا صرخت شهد «سامر!!» وفجأة انشقّ طرف الظرف وخرج منه شيء صغير لمعته حادة وصوته كصفير سامر صاح «شهد!! انحني!!!»

ورفع يده بسرعة وضرب الكائن الصغير بظهر كفه قبل أن يصل إلى وجهها سقط الشيء على الأرض وتحرّك لثانية ثم توقّف شهد كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة، عينان واسعتان، شفاه ترتجف: «ماذا... كان ذلك؟»

نظر سامر إلى القطعة الساقطة، عيناه تتسعان ببطء ثم قال بصوت لا يشبهه أبداً

«شهد...هذا...لم يكن ورقًا كان... جهاز مراقبة»

ظلّت شهد تنظر إلى الجهاز الساقط على الأرض، جهاز صغير، صامت، لكن مجرد وجوده كان كافيًا ليجعل الدم يجمد في عروقها

سامر مدّ يده ببطء...التقط الجهاز وقلبه بين أصابعه كان على سطحه ضوء خافت نقطة واحدة تومض ثم تنطفئ ثم تعود لتومض شيء غريب يشبه نبض قلب قالت شهد «سامر... لماذا يومض بهذه الطريقة؟»

لم يجب كان يحدّق في الجهاز بعينين تعرفان الخطر قبل أن ينطق ثم فجأة رفع رأسه نحو الباب بنظرة حادّة، سريعة، كأنه سمع شيئًا

«شهد... ابتعدي عن النوافذ الآن»

«ماذا—»

«قلت الآن!»

صرخت شهد، وابتعدت دون تفكير عينا سامر تتحركان بسرعة نحو الظلام وإذ فجأة...صوت ارتطام قوي خارج النافذة!

قفز سامر فورًا، جرّ شهد من يدها وسحبها خلف الطاولة

«ارتمي أرضًا!» سقطت وهي تلهث، وفي اللحظة نفسها تكسّر جزء صغير من زجاج النافذة وسقطت منه قطعة معدنية صغيرة استقرت على الأرض وبدأت تومض انتفض سامر «قنبلة صوتية!! غطّي أذنيك!!» غطّت شهد أذنيها بعنف ثانية واحدة فقط ثم انفجار حاد وصامت مرّ كذبحة في الهواء ضوء قوي جدًا أبيض أعمى العين كأن الغرفة اصبحت إلى نهارٍ مفاجئ صرخت شهد، غطّت وجهها، قلْبها كاد يقف سامر انقضّ فوقها يحمي رأسها بذراعه، صرخ «لا تنظري!! أغمضي عينيك!!»

مرت ثانية...ثانيتان...ثم انطفأ الضوء لكن شيئًا أكبر حصل...السكوت سكوت غريب...أثقل من الانفجار نفسه كأن شيئًا اختفى من الهواء وأخذ معه الأصوات كلها قالت شهد «سامر... لا أسمع شيئًا... أذني...»

كان سامر ينهض ببطء، يتفقد المكان بعينين تتحركان بسرعة ثم رأى شيئًا لم يكن هناك قبل لحظات على الجدار فوق النافذة خط صغير مرسوم باللون الأسود خط واحد فقط يشبه الخدش لكن سامر عرفه فورًا.

«ما هذا؟»

نظر إليها سامر وجهه تغيّر تمامًا اختفى منه اللون وقال بصوت منخفض يكاد يكون همسًا لكنه أخطر جملة نطقها منذ بدأ كل شيء

«هذا... توقيعهم»

اتسعت عينا شهد «توقيع من؟!»

تقدّم سامر خطوة نحو الجدار، لمس الخدش بأطراف أصابعه كأنه يتحقق من شيء سيء «الجهة الثالثة» قالها وهو يبلع ريقه بصعوبة

«هكذا يتركون علامة عندما يريدون أن يرسلوا رسالة واحدة فقط ... نحن هنا وقادرون ومستعدون للخطوة التالية»

ثم التفت إليها مباشرة «شهد... هذا ليس تهديدًا هذا إنذار»

«إنذار لماذا؟»

سامر اقترب منها ببطء حدّق في عينيها بعمق ثم قال بصوت خافت:

«إنذار بأنكِ... صرتِ الهدف»

كانت شهد تستند إلى الجدار، وجهها شاحب، وعيناها تتنقلان بين الخدش الأسود، وبين الجهاز الذي كاد ينطلق نحو وجهها، وبين سامر الذي بدا ليس ضابطًا فحسب، بل رجلًا يرى شيئًا أكبر من مهمته قالت بصوت مرتجف: «سامر... ماذا نفعل الآن؟»

لكن قبل أن يجيب صوت كسر قفل الباب الرئيسي ...ارتجّ البيت...صرخت شهد «سامر!!!» أمسك ذراعها بعنف، سحبها خلف حافة الجدار، وقال بحدة: «انخفضي أرضًا! لا تتحركي ولا تنطقي!»

كان الباب يُفتح شيئًا فشيئًا صوت المعادن، خشخشة القفل، الهواء يدخل بطريقة غير طبيعية كأن البيت يبتلعه ثم خطوة خطوة ثانية شخص يدخل ليس سامر...وليس الظل...ولا حتى أحد تعرفه أخرج سامر سلاحه، تنفسه أصبح قصيرًا، عينيه تركّزان ناحية المدخل

«من يدخل الآن ليس البشر الذين يتركون توقيعًا على الجدار»

«إذن... من؟»

همس سامر «أحداً منهم أو أحد يعمل لصالحهم»

دخل شخص ببطء لا يظهر منه شيء سوى ظلّ طويل يتحرك وكأنه لا يلمس الأرض سامر انتظر اللحظة الصحيحة، ثوانٍ صعبة سكون ترقب ثم اندفع أمسك ذراع شهد وسحبها نحو المطبخ، ابتعد بها قبل أن تتلقى رصاصة عمياء أو شظية أو ضربة مباغتة الشخص المجهول تحرك فورًا، كأنه توقع حركة سامر، وأطلق شيئًا لم يُسمع صوته لكن الهواء تبدّل حولهم، ارتفع غبار خفيف، ورائحة معدنية ملأت المكان سامر صرخ «غاز!! غطّي فمك وأنفك!!» أمسكت كمّ قميصها، ضغطته على وجهها، عينان تتسعان بفزع أمسكها سامر من كتفها ودفعها نحو الباب الخلفي: «اركضي!! ولا تلتفتي!!» فتحت الباب الخلفي وما إن خرجت حتى سمعت

صوت ارتطام قوي خلفها التفتت رغمًا عنها، فرأت سامر يقفز جانبًا ليتفادى ضربة معدنية أطلقتها اليد التي دخلت البيت صرخت «ســـامر!»

لكنه صاح «اركض» ركضت قلبها يضرب صدرها كطبول حرب، أنفاسها تتسابق، رئتاها تشتعلان وصلت للشارع لكن ما إن خطت ثلاث خطوات فقط سيارة سوداء بلا أرقام توقفت بعنف أمامها

صرخت شهد وتراجعت الباب الخلفي انفتح لكن لم يخرج أحد فقط باب مفتوح...صامت...مُنتظر «لا... لا...» واستدارت لتعود للبيت لكن يدًا قوية أمسكت ذراعها بقوة التفتت مذعورة سامر قال بصوت لاهث

«هيا ابتعدي عن السيارة»

لكن قبل أن يبتعدا خطوة خرج صوت من داخل السيارة ليس صوت رجل...ولا امرأة... صوت آلي...صوت مشوَّه...هادئ بطريقة مخيفة: «مرحلة ثلاثة...بدأت»

سامر شدّ يد شهد «اركضي» انطلقا عبر الشارع لكن من المبنى المقابل،

ظهر ظلّ شخص يقف على السطح... مجرد ظل...لا ملامح...لا وجه... لا صوت لكن الشيء الذي فعله كان كافيًا ليجعل الدم ينكمش في العروق رفع يده لم تكن موجهة إليهم بل نحو الشخص الذي دخل منزل شهد قبل

قليل وفجأة سقط ذلك الرجل داخل البيت كما لو قُطع خيط حياته فجأة ... لا صوت...لا دم...لا حركة

«سامر!! الـ... الـ... هذا...» سامر نظر للظل فوق السطح بذهول وضياع ثم همس «هذا...ليس منهم...ولا من الجهة الثالثة...»

سألته بخوف «إذن... من هو؟!!!»

سامر قال ببطء وكأنه يلفظ الحقيقة لأول مرة «هذا... الظل الحقيقي»

وقف سامر وشهد في وسط الشارع، أضواء أعمدة الطريق ترتجف، ورائحة الغاز القادم من منزلها ما تزال عالقة في الهواء الظل الذي على سطح المبنى لم يتحرك لم يلوّح لم يحاول الاقتراب اكتفى برفع يده وإسقاط الرجل الذي حاول اقتحام المنزل تمسكت شهد بيد سامر بقوة «سامر... ماذا يفعل؟ هل... هل يساعدنا؟»

سامر لم يرفع نظره عن الظل، وكأنه يرى شبحًا يعرفه رغم أنه لا يعرفه

«هذا الرجل...لا يقف إلا إذا أراد شيئًا واحدًا»

«ما هو؟»

همس: «السيطرة على الفوضى...وليس إنقاذ أحد»

وفجأة أطفأت كل إنارة الشارع لمبة...ثم ثانية...ثم ثالثة...حتى اختفى الضوء كله... المدينة نفسها تحوّلت إلى قطعة ظلام شهد امسكت في ذراع سامر بعنف «سامر» جرّها بقوة نحو الجانب

«انحني هناك شيء غير طبيعي الآن»

كانت الظلمة كثيفة كأنها مادة ملموسة، والصمت يخفي تحته خطوات لا تُسمَع...لكن تُشعَر فجأة ومضة ضوء خافتة على سطح المبنى حيث يقف الظل ليس ضوءً عاديًا...ضوء أشبه بـ نَفَس...نبضة بصرية...تظهر وتختفي وتعود تتنفّس كأن الظل نفسه جهاز ينبض سألته بصوت مرتجف «ما هذا...؟»

أجابها «ليس هو...هذا انعكاس هناك أحد...يوجّه ضوءً نحوه»

«الجهة الثالثة؟»

لم يجب، لأن الإجابة كانت واضحة ثم فجأة انطفأ ذلك الضوء أيضاً واختفى الظل اختفى...ليس بالقفز...ولا بالركض كأن أحدًا أطفأ وجوده «سامر...؟ هل رأيت؟ هل—»

لكن صوتًا قاطعًا جاء من خلفهما قريبًا جدًا «لا تتحرّكان»

تجمّدت شهد تصلّب سامر أدار رأسه ببطء شخصاً يقف خلفهما ليس واضحًا...ليس كاملًا...مجرد ظل يمتزج مع العتمة لكن الصوت كان واضحًا جدًا «مرحلة أربعة...بدأت»

دفعها بقوة نحو الجهة الأخرى «اركضي!!!»

ركضت لم تتنفس...لم تفكّر...لم تشعر بقدميها سامر التحق بها بعد أن أطلق طلقتين تحذيريتين لم تُصب أحدًا لكن فتحت ثغرة في الظلام

«إلى السيارة! إلى السيارة الآن!!»

صرخت «أي سيارة؟ السيارة السود—»

«لا!!! تلك لهم!!! إلى سيارتي أنا!!»

ركضت...ركض سامر خلفها...ظلال تتحرك من الجوانب، خطوات لا يمكن فكّ اتجاهها، صوت أجهزة صغيرة تومض وتنطفئ، صفير غريب يمرّ بجانب أذن شهد وكأنه يتحسس حدود عقلها فتح سامر باب سيارته، دفع شهد للداخل «انزلي أرضًا لا ترفعي رأسك»

جلس في المقعد، شغّل السيارة بعنف لكن المحرّك لم يعمل ضرب المقود «الجهة الثالثة فعلوها...تعطيل نظامي... القرب منهم يكفي لشلّ كل شيء الكتروني»

ثم فجأة ظهر ضوء صغير على الزجاج الأمامي ضوء أحمر دائرة تتحرك كما لو أن أحدًا يوجّه سلاحًا دقيقًا نحو السيارة قال سامر بصوت مبحوح: «لا تتحركي...هذا نظام استهداف»

«سامر...سنموت؟»

سامر أغلق عينيه لحظة...أقسمت شهد أنها رأت شيئًا في وجهه لم تراه من قبل يأس وليس خوف ثم فتح عينيه وقال: «ليس اليوم»

وانطلق من السيارة ساحبًا شهد معه بالقوة! ركضا عبر الشارع بينما الضوء الأحمر يتبع حركتهما كظلّ قاتل ثم من العتمة يدٌ تمتد وتجرّهما للداخل إلى ممر ضيق بين مبنيين، كان مظلمًا لكنه آمن للحظة واحدة فقط

«سامر... من—» وسكتت لأن اليد الثالثة هي يدٌ يعرفها سامر يدٌ لا تشبه باقي الأيادي...صلبة...باردة...متمكّنة...يد الظل لكن الظل لم يظهر لم يتكلم لم يقترب سحبهم فقط...ثم اختفى ترك وراءه شيئًا واحدًا على الأرض...رصاصة صغيرة منقوش عليها حرف واحد S

ليست شهد...ليست سامر...بل شيء ثالث...شيء غامض حمل سامر الرصاصة، تجمّد لثواني، ثم همس «هذا ليس توقيعًا هذا...تحذير»

رفعت شهد رأسها بخوف

«تحذير مِن...مَن؟ من الظل؟ ولا من الجهة الثالثة؟»

نظر إلى العتمة...إلى حيث اختفى الظل...وقال بصوت مخنوق:

«تحذير...مني أنا...وليس منهم»

كان الممر الضيق بين المبنيين يُشبه قبرًا مفتوحًا، ضيقًا خانقًا رطب الهواء وكأن الجدران تحفظ أسرارًا أغلقت عليها منذ سنوات شهد لم تعد تعرف إن كانت ترتجف من البرد أو من الخوف أو من يد الظل التي سحبتها للتو ثم اختفت كأنها كانت مجرد حلم عابر...مخيف...لكن حقيقي أكثر من اللازم

كان سامر واقفًا أمامها، يتنفس بصعوبة، يده ما تزال تشد على الرصاصة المنقوش عليها حرف S، وجهه شاحب عيناه تتحركان بين الممر وصمت الليل كأنهما تنتظران شيئًا أو تخشيان ظهوره قالت شهد بصوت مرتجف «سامر... ماذا يعني هذا الحرف؟ ولماذا... قلت إنه تحذير منك؟»

لم يجيب فورًا كأن الكلمات تمزّق داخله شيئًا كأنه يخاف أن يقول الحقيقة أكثر من خوفه على حياتهما رفع رأسه إليها وقال بصوت مبحوح

«لأن هذا الحرف...ليس اختصار اسمي...ولا اسمك...ولا اسم الظل...»

تقدمت شهد خطوة صغيرة، صوت قلبها يكاد يصدر في الهواء

«إذن لمن؟»

سامر بلع ريقه بصعوبة، ثم قال ببطء شديد:

«هذا... شعار فرقة كانت موجودة قبل سبع سنوات فرقة سرية انشقت عن جهاز رسمي وبدأت تعمل لوحدها لكنها اختفت فجأة من دون أثر...»

سكت لحظة، ثم أكمل بنبرة أعمق: «اسم الفرقة...كان يبدأ بـ S«

«فرقة...؟ سامر، تقصد جهة رابعة؟ غير الظل وغير الجهة الثالثة؟»

أغمض عينيه للحظة

«لا الجهة الثالثة هي نفسها تلك الفرقة لكن بعد أن تطوّرت وظهر قائد جديد لا أحد يعرف اسمه، ولا وجهه، ولا حتى صوته الحقيقي»

«القائد...؟ هل هو من يراقبني؟»

سامر لم يرد لأن الإجابة...كانت واضحة

قبل أن تكمل شهد سؤالها شعرت بشيء غريب يجتاح جسدها دوخة خفيفة...ثقل في صدرها...برودة في أطرافها كأن أحدًا يأخذ الهواء من حولها ويعيده إليها مثقلاً بالخوف وضعت يدها على جدار الممر وكأن الأرض تميل «ســـ... سامر...أشعر... بدوار...»

سامر التفت فورًا، مسك كتفها، نظر إلى عينيها فوجد البؤبؤ يتسع بطريقة غير طبيعية «شهد!! متى بدأتِ تشعرين بهذا؟ متى؟!»

«قبل دقيقة...حين صرخ الشخص...حين أطفأت الأضواء...شعرت بشيء غريب...لكن تجاهلته»

صرخ «كان يجب أن تخبريني!!!»

سحب يدها بقوة، تقدّم خطوة نحو الضوء القادم من الشارع ثم تفحّص رقبتها سريعًا وتجمّد «يا الله...» قالها بصوت مكسور شهد تجمّدت خوفًا «سامر!!! ماذا؟ ماذا هناك؟!!!»

رفع يدها ببطء، وأشار إلى نقطة صغيرة جدًا أسفل عنقها مباشرة نقطة لا تكاد تُرى... لونها أبيض باهت...تلمع وكأنها أثر إبرة

«هذا... هذا ليس منّي! أقسم لك لم—»

سامر وضع أصبعه على شفتيها «أعرف وأعرف متى حصل هذا»

«متى؟»

«حين خرجتِ إلى الشارع قبل أن أصل إليك بثانية...الباب الخلفي...

الظلام...الخطوة التي سمعتها في البيت...شهد لقد اقترب منك أحدهم بمسافة تنفّس»

ارتعش جسد شهد كله «اقترب مني...ولم أشعر؟»

سامر أومأ...عاجزًا عن قول أكثر ثم قال بصوت واهن

«هذا ليس تسممًا...ولا مخدرًا...ولا مرضًا...هذا جهاز تعقب دقيق جدًا بحجم ذرة غبار زرعوه تحت الجلد من دون أن تشعري»

وضعت يدها على رقبتها، ثم على صدرها وكأنها تكشف جسدًا ليس لها

«سامر...سوف... أموت؟»

سامر أمسك وجهها بين يديه «لن تموتي طالما أنا معكِ»

ثم نظر إلى السماء إلى أعلى المبنى حيث كان الظل قبل قليل وقال بصوت خافت لكنه مليء بغضب هائل:

«الجهة الثالثة...زرعت جهازًا في جسد شهد والظل...يسمعني الآن»

وفجأة صوت خافت جاء من خلفهما من مكان لا يوجد فيه أحد

«ليس الظل من يجب أن تخشاه...بل من يراقب الظل»

التفت سامر بسرعة، رفع سلاحه، لكن لم يكن هناك أحد

«سامر... مَن قال هذا؟»

سامر همس:

«ليست رسالة هذا تهديد والجهة الثالثة تريدنا أن نعرف أننا لسنا وحدنا»

كانت شهد ترتجف وهي تلمس أثر النقطة البيضاء تحت جلدها الشعور كان أقرب لوجود شيء "يستيقظ" داخلها شيء لا تملكه ولا تتحكم به أمسك سامر ذراعها بقوة «لا تتحركي... أحتاج أن أرى أكثر»

لكن شهد دفعت يده قليلاً بخوف

«سامر أرجوك، انزعه أخرجه أي شيء أريد هذا الشيء خارج جسدي!»

«لا أستطيع الآن، المكان مظلم والجزء صغير جداً أي محاولة خاطئة قد» قطع كلامه صوت ارتطام خلفهما سريع حاد مباشر التفت سامر فورًا رفع سلاحه شدّ على الزناد بيد ثابتة «من هناك؟!!»

لكن الرد لم يكن صوت بشر...بل صفير إلكتروني خافت كأن أحدهم يفتح قناة اتصال قريبة «سامر هذا نفس الصوت الذي سمعته قبل أن أسقط»

رفع سامر رأسه نحو طرف الممر لم يرَ أحدًا لكن الظلمة بدت أكثر امتلاءً «شهد... اسمعيني» قالها سامر وهو يقترب منها ويضع ظهره على الجدار وكأنه يغطيها بجسده

«الجهاز تحت الجلد لكنه ما يزال جديدًا يمكن إزالته قبل أن يفعّل نفسه»

«يفعّل نفسه...؟» نطقتها شهد كأنها جملة تُخيف الروح

«الجهاز له وضعان التعقب...والانفجار الحيوي»

شهقت شهد بقوة، وضعت يدها على عنقها «تقول انفجار داخل جسدي؟»

سامر أمسك وجهها بيديه «اهدئي أنا لن أسمح أن يصل لهذه المرحلة»

أخرج سكينًا صغيرًا من جيبه شفرة طبية رفيعة، نظيفة، كان يخفيها لحالات خطيرة «سامر...!!»

«لا تتحركي كلمة واحدة منك تكفيني أستطيع إخراجه في ثلاث ثوانٍ قبل أن يلتقطوا الإشارة»

لكن قبل أن يكمل ضوء أحمر ظهر فجأة على رقبتها نقطة مستقيم ثابت

سامر صرخ «ليزر استهداف!!! انحنيييييي!!!»

دفع شهد أرضًا وانحنى فوقها، وفي اللحظة نفسها مرت رصاصة صامتة

بسرعة الريح اخترقت الحائط خلفهما كأن أحدًا قال

"إذا أزلتم الجهاز... سنقتلكم"

من طرف الممر ظهر رجلان طويلان، ملامحهما مظللة بقبعات سوداء، حركتهما بطيئة لكن واثقة وكأنهما يمشيان على أرض يعرفان كل زواياها أحدهما قال بصوت منخفض «سلّموها... وسنترككم أحياء»

سامر نهض بسرعة، سحب شهد خلفه «ابتعدوا عنها!!! ولا تقتربوا»

الرجل الثاني قال «سلمها... الجهاز بداخلها لنا ...لن نكرر الطلب»

«جهازي...؟! أنا إنسانة... لست شيئًا!!»

الرجل اقترب خطوة «أنتِ الآن وعاء معلومات لا أكثر»

سامر رفع سلاحه «تراجعوا... أو أعطيكم سببًا تندمون عليه»

الرجل ضحك بسخرية، ضحكة قصيرة... باردة

«أنت تعرف أننا لا نموت بسهولة...ولا بسرعة»

ثم أشار بيده وخلفهما أُغلِق الممر تلقائيًا، كأن جدارًا من الظلام تمدّد وراءهما قبل أن يتمكّن الرجلان من التقدم مرّت رياح باردة ليس لها اتجاه ولا مصدر ثم يد من الظلام أمسكت بالرجُل الأول وسحبته للخلف بقوة غير طبيعية لم يصرخ لم يقاوم اختفى فقط الرجل الثاني تجمّد نظر حوله «ليس من المفترض أن يكون هنا ...ليس اليوم»

سامر قال بازدراء خافت «يبدو أنه قرر... يكون اليوم»

وبينما الرجل الثاني يتراجع خوفًا لمسة باردة صامتة صفعت كتفه ثم اختفى هو الآخر من دون صوت كأن الظلام التهمهما لم يبقَ في الممر

سوى سامر...شهد...والهواء الثقيل قالت شهد بصوت مرتجف «سامر...الظل... أنقذنا؟»

سامر لم يجيب...ثم قال أخيرًا «الظل لا ينقذ الظل يمنع الفوضى فقط» جلس على الأرض فجأة كأنه لم يعد يقوى على الوقوف يده ترتجف عيناه زائغتان، وكل ملامحه تصرخ بالحقيقة التي كان يخفيها

قالت شهد بخوف «سامر...؟ ما بك؟ أرجوك... تكلم»

رفع عينيه إليها...ولأول مرة رأته خائف

«شهد هناك شيء عليكِ أن تفهميه قبل أن يتحركوا خطوة أخرى»

«ما هو؟»

سامر بلع ريقه كأنه يبتلع شيئًا مرًا جدًا

«أنتِ لم تعودي جزءًا من المهمة أنتِ... أصبحتِ قلبها»

«قلبها...؟ ماذا تعني؟»

«يعني أنهم إن حصلوا عليكِ ستنتهي كل الأطراف الظل والشرطة والجهة الثالثة والمدينة... وأنا»

اقترب منها ببطء، أمسك يدها بقوة «شهد...أنتِ أصبحتِ...المفتاح»

وقف سامر بصعوبة، يده ما تزال تمسك يد شهد وكأنه يخشى أن يتركها فتختفي فجأة كما اختفى الآخرون كانت الأنفاس ضيقة، العتمة تقترب، والمدينة كلها صارت صدى لشيء أكبر منهما قال سامر بصوت متوتر:

«يجب أن نغادر المكان فورًا»

«إلى أين؟»

«إلى مكان لا تصل إليه تقنيات الجهة الثالثة ولا يعرف عنه الظل ولا الشرطة ولا حتى أنا قبل دقائق»

«مَن يعرفه إذن؟»

سامر همس «شخص واحد فقط قائد سابق خرج من الخدمة قبل سنوات»

التفت حوله يتأكد أن الظلام ما زال خاليًا «إن بقي على قيد الحياة»

أخرج سامر مفتاحًا معدنيًا صغيرًا، ليس لسيارته بل لقبو مجهول على بُعد بضعة شوارع «اركضي بجانبي...لا تبتعدي ولا خطوة»

بدأوا الجري أصوات خطواتهما ترتطم بالأرض لكن خلفهما خطوات أخرى لا تُسمع...فقط تُحسّ همس سامر دون أن يلتفت «هناك أحد يتبعنا»

«الجهة الثالثة؟»

«لا...الجهة الثالثة تُصدر ضوءً...أجهزة...ونبضات إلكترونية...لكن ما أشعر به صامت جدًا...قريب جدًا...ذكي جدًا...»

توقفت شهد للحظة «الظل؟»

سامر لم يرد ليس لأن الجواب نعم... بل لأن الجواب أسوأ من نعم

بينما هما يركضان، قطع عليهما الطريق سيارة سوداء ثانية ظهرت من زاوية مظلمة كأنها خرجت من اللاشيء توقفت بعنف الأبواب الأربعة انفتحت معًا سامر صرخ «تراجعي!!»

لكن قبل أن تتحرك شهد...من داخل السيارة خرجت أربعة أشعة ليزر حددت موقع سامر وشهد بدقة مرعبة صوت آلي خرج من مكبر داخلي «المستهدفة رقم (١) سَلّموا أنفسكم»

شهد باستغراب «رقم واحد؟!»

سامر سحبها من ذراعها قفزا إلى الزاوية لكن سيارة ثانية ظهرت من الجهة المقابلة وثالثة من الخلف شهد كادت تصرخ لكن سامر وضع يده على فمها «لا تصدري صوت الصوت يكشف مكاننا»

شهد تمسكت بقميصه وعيناها تمتلئان دموعًا محبوسة

«سامر سنُمسك...انتهينا...»

سامر هز رأسه «لا... طالما أنا معك وطالما هو موجود لا تخافي»

«مَن؟»

سامر نظر إلى أعلى السطح الأسود حيث لا يوجد شيء مرئي وقال همسًا: «الظل... موجود»

فجأة أُطفِئت أضواء السيارات السوداء كأن أحدًا قطع الكهرباء عنها دفعة واحدة في اللحظة ذاتها صدرت صرخة مكتومة واحدة من أحد الرجال القريبين ثم صمت ثم صرخة ثانية من جهة أخرى ثم صمت

«سامر... ماذا يحدث؟»

أمسك يدها بقوة «انحني... لا تنظري»

كان يسمع ولم يكن يرى...كان يسمع شيء يتحرك بسرعة غير بشرية احتكاكًا خافتًا ارتطام أجساد بالجدران تنفّسًا مقطوعًا ثم فراغ تام كأن الظلام نفسه ابتلع ثلاث سيارات وأربعة رجال بعد ثوانٍ عاد الضوء لكن السيارات كانت خالية الأبواب مفتوحة المقاعد فارغة أثر دم خفيف يمتد من الباب الخلفي إلى أعلى السطح ثُم ينتهي صرخت شهد بصوت مخنوق «سامر الظل قتلهم؟»

سامر ردّ بصوت منخفض:

«لا يقتل إلا عند الضرورة القصوى لكن يبدو أنه يعتبر وجودك ضرورة»

وصل سامر وشهد إلى مبنى قديم ملامحه تآكلت منذ الزمن، لا كاميرات، لا كهرباء، لا صوت فتح سامر باب حديدي يحاذي الأرض قبو ضيق بدرجات طويلة تغرق في العتمة قال سامر:

«هذا المكان لا إشارات لا أجهزة ولا أحد يعرف بوجوده»

شهد همست «ولا الظل؟»

سامر تجمّد نصف ثانية ثم قال بصوت ضعيف:

«الظل يعرف كل شيء لكنّه لا يدخل إلا إذا أراد»

نزل سامر أولًا، ثم شهد خلفه لكن قبل أن يصلوا للأسفل سُمِع صوت خافت عند فتحة القبو خطوة واحدة كأن أحدًا على السطح ينظر إليهما

«سامر... هناك شخصاً فوق...»

سامر رفع سلاحه، صوّب نحو الأعلى، لكن لم يظهر شيء ثم فجأة ورقة صغيرة سقطت داخل القبو بهدوء كأن أحدًا أفلتها من فوق سقطت بين قدمي شهد رفعتها بيد مرتجفة فتحتها وكان فيها سطر واحد فقط

"لا تبقيا هنا" كانت الكتابة بنفس الخط الذي كانت عليه الرصاصة

«سامر...لم نعد نعرف...مَن يحاول إنقاذنا ومَن يريد قتلنا...»

اقترب منها، نظر في الورقة، ثم تمتم «حتى الظل... أصبح يحذرنا»

رفع رأسه نحو الأعلى، نحو الظلام وقال:

«هذا يعني أن القادم ليس مجرد خطر بل شيء...لم نره من قبل»

جلسا في قبو ضيّق، رائحة التراب والرطوبة تحاصر المكان، وصوت قطرات ماء يتساقط بعيدًا كنبض بطيء وضعت شهد ظهرها على الجدار، حاولت تهدئة أنفاسها لكن فجأة تلمست رقبتها «سامر...سامر!!!»

ركض نحوها فورًا «ما بكِ؟!»

«النبض...قلبي... يدق بطريقة غريبة...بشكل غير منتظم...»

سامر وضع يده على صدرها دون تردد، شعر بالرجفة النبض لم يكن نبض خوف بل نبض إلكتروني متقطع كأن جهازًا صغيرًا يرسل موجات من الداخل «سامر... الجهاز... تفعل؟!»

ابتعد خطوة للخلف، عينيه اتسعتا بخوف حقيقي «لا... لا هذا ليس وقت تفعيله كان المفترض ينشط فقط إذا حاولوا خطفكِ ليس الآن!»

شهد أمسكت قميصه وهي ترجف «سوف أنفجر؟»

أجابها صارخاً «لا إن تفعل الجهاز الآن سوف يبث موقعك للجهات كلها»

شهقت بقوة «هذا يعني... هم يعرفون أننا هنا؟»

عض سامر شفته غيظاً «نعم يعرفون...مؤكد أنهم في طريقهم إلينا»

بينما كان سامر يبحث عن وسيلة يعطّل بها النبض، سمعا طرقة واحدة على باب القبو طرقة...هادئة... غير مستعجلة «لا تقول إنه الظل!»

سامر هز رأسه بخوف «الظل لا يطرق...الظل يدخل»

عاد الصوت طرقة أخرى أقرب أوضح «سامر... افتح ليس لدينا وقت»

وقف سامر فجأة جسده تصلّب عيناه اتسعتا شهد همست «من...؟»

سامر بصوت منخفض جدًا «هذا صوت...صوت واحد من فريقنا»

«من فريق الشرطة؟!»

سامر لم يجب لكن ملامحه قالت كل شيء

«إذا هو عرف المكان...هذا يعني أن هناك من يسرب الاخبار»

فتح سامر الباب بحذر، ويداه على السلاح ظهر رجل في منتصف الثلاثينات، يرتدي ملابس مدنية، لكن ملامحه مألوفة قال بهدوء:

«هل ارتحتم من المطاردة؟ لأن القادم...أسوأ بكثير»

شهد «أنت كنت معنا منذ البداية...كنت بالأجهزة...!»

الرجل ابتسم ابتسامة صغيرة «كنت معهم...وكنت معكم...»

سامر رفع سلاحه عليه فورًا «كِن واضح...لمن تعمل؟»

«أعمل...للجهة التي تعرف أكثر منكم وللجهة الوحيدة اللي فهمت قيمة شهد قبل أن تعرفونها أنتم»

تقدّم خطوة ورفع حاجبه «هل تظنون أنكم وحدكم تتابعون جهازًا مزروعًا تحت جلدها؟ هل تظنون أن الجهة الثالثة فقط هي التي تريدها؟»

شهد «تقصد... جهة رابعة؟!»

الرجل ابتسم:

«سمّوها مثل ما يحلو لكم لكن أنا هنا لأخذ شهد قبل أن يصلوا»

سامر ردّ، صوته صار مخيفًا «على جثتي»

الرجل ابتسم: «لا سامر...ليس على جثتك...أنت أيضاً ستأتي معنا»

فجأة شهقت شهد بقوة ووضعت يدها على صدرها

«سامر الجهاز يجرني»

سامر صرخ « ماذا ؟!»

«كأن...كأن هناك شيء يشّدني...من الداخل...لجهة معيّنة...!»

الرجل قال بكل هدوء: «هذه المرحلة التي كنا ننتظرها الجهاز بدأ يوجّهها للمكان الذي يجب أن تذهب إليه»

سامر صرخ «ألستم أنتم من زرعه!!!»

«لا والله... ولا الجهة الثالثة ولا الشرطة»

«من... زرعه... إذًا؟»

الرجل اقترب حتى صار وجهه أمامهما «الشخص الوحيد الذي تعتقدون أنه فوق الشبهات الشخص الوحيد اللي وثقتم فيه منذ البداية»

سامر وشهد تجمّدا هو ابتسم

«اللي زرعه... هو نفس الشخص...اللي أنقذكم قبل دقائق»

سامر صرخ «الظـــلّ؟!!»

«نعم»

جلست شهد على الأرض ببطء، دموعها تجمدت في منتصف الطريق

«الظل زرع الجهاز داخل جسدي؟ الظل من يوجّهني؟ هو الذي يريدني؟ ليس الهدف انقاذ المهمة بل لأذهب إليه؟»

الرجل أومأ «بالضبط»

سامر صرخ بوجه الرجل «لماذا؟! ما الهدف من شهد؟!»

الرجل تنفّس بعمق «الظل... يريد شيئًا داخل شهد لا يريدها نفسها بل شيء أعيد تنشيطه داخلها قبل سنوات ما كان يجب أن ينشط»

«سنوات؟ أنا... كنت مجرد طفلة»

الرجل هزّ رأسه «كنتِ...لكن لم تبقي بعد الآن»

التفت إلى سامر

«وأنا جئت لآخذها قبل أن يصل الظل نفسه لأن وقتكم انتهى»

سامر صرخ «لن تلمسها!!!»

الرجل ابتسم «على العكس...أنتما الاثنان...سوف تأتون معي»

قبل أن يتحرك أحدهم، صدر صوت قوي من خارج القبو ثم رائحة دخان

ثم ارتجاف الأرض نفسها

شهد «ما هذا؟!»

الرجل قال بهدوء: «هو عرف مكاني...عرف أني سآخذكم قبله»

سامر همس: «من...؟»

الرجل ابتسم ابتسامة صغيرة لكنها كانت مليئة بالرعب

«الظل قادم شخصيًا»

«شخصيًا؟! الظل يظهر؟!!»

الرجل: «نعم وأنا...لا أستطيع مواجهته وحدي»

نظر إلى سامر وأكمل

«لذلك أحتاجك معي أنت الوحيد اللي عرفه من قبل وأنت الوحيد الذي تستطيع إيقافه لو اضطر الأمر»

شهد تجمّدت «سامر...أنت... تعرف الظل؟»

سامر نظر للأرض ثم رفع عينيه ببطء وقال «الظل كان جزءًا من فريقي»

ساد الصمت داخل القبو ليس صمت خوف فقط، بل صمت الحقيقة التي كانت تختبئ منذ البداية سامر واقفاً، يده ترتجف، عيناه تتحركان كأنه يبحث عن كلمات ضاعت منذ سنوات شهد كانت تراقبه، كل نبضة في صدرها تتسارع ليس من الجهاز فقط، بل من الخوف

"سامر يعرف الظل"

الرجل المتسلل (الخائن أو الوسيط أو الشخص بين الجهات)

كان يقف عند الباب وأذنه تتبع كل ذبذبة في الهواء ثم قال بصوت منخفض: «سامر...يجب أن تخبرها ...تكلم قبل دخوله»

أغمض عينيه لحظة، ثم فتحهما ببطء وقال: «الظل...كان شريكي»

شهد «شريكك؟!!!»

سامر تابع ببطء، كأنه يستخرج الكلمات من جرح قديم:

«قبل أربع سنوات كنتُ ضمن فريق خاص...مهمة سرية...أخطر من كل ما عرفته ورأيته الآن ...وكان معنا رجل عبقري أقوى من كل الضباط»

تنفّس بعمق «ذلك الرجل...هو الذي أصبح اليوم...الظل»

فجأة وضعت يدها على رقبتها وقالت: «سامر الجهاز يرسل صوت»

ركض نحوها «أي صوت؟!»

صرخت «همسات أحدهم يهمس باسمي، يوجد صوت داخل راسي»

الرجل قال فورًا: «اتصال مباشر هو من يتواصل معها»

سامر تجمد: «الظـــل؟!»

وضعت يديها على أذنيها:

«صوت رجل هادئ عميق يقول عودي إليّ ...لماذا يكلمني؟»

سامر صرخ «لا تنتبهي! لا تركّزي! لا تجيبي!»

لكن شهد بدأت ترتجف الجهاز داخلها يرسل ذبذبات حتى الأرض تحت قدميها بدأت تهتزّ «سامر إنه يجذبني يسحبني كأنه يشدّ روحي»

جاء صوت ارتطام عنيف فوق السطح ثم ثاني ثم ثالث الرجل قال بجدية مرعبة «هذا...ليس قنبلة هذا...نزوله»

أمسك شهد بقوة «لا تنظري لفوق لا تنتبهي للصوت ركّزي عليّ أنا»

«سامر إذا كان هو من زرع الجهاز داخلي لماذا أنا؟ لماذا اختارني؟»

سامر صرخ «لأنكِ...لستِ عادية!»

الرجل هتف: «انتبهوا!!!»

وفجأة انطفأ كل صوت كل ارتطام كل ذبذبة حتى الجهاز صار ساكنًا كما لو أن "شيئًا" وقف فوق القبو ووقف معه الزمن

من باب القبو، امتدّ ظل طويل جدًا...غير منطقي...غير بشري

كان ينساب على الأرض كأن الضوء نفسه يُجبر على الابتعاد عنه

صرخت شهد «سامر...!» رفع سلاحه، لكن يده لم تستطع الثبات السلاح اهتزّ كأنه يرفض أن يواجه الرجل قال بسخرية يائسة:

«لا فائدة...هو ليس جسدًا لتطلق عليه...هو... فكرة»

الظل اقترب، ببطء، بنعومة كأن خطواته لم تُخلق لتُسمع بل لِتُخاف ثم وقف عند مدخل القبو لم يظهر وجه ولا جسد ولا هيئة كاملة فقط ظل رجل واقِف ينظر إليهم من دون عينين

شهد وضعت يدها على صدرها «الصوت...عاد...»

سامر صرخ «لا تستمعين!!!»

لكن الصوت داخلها ازداد وضوحًا "أنتِ... لستِ معهم" "أنتِ... لي."

خطا سامر للأمام وجسده يرتعش من الغضب: «إذا كنت تريدها يجب عليك قتلي أولاً لأني سأحميها بكل ما اوتيت من قوة وعزم»

الظل لم يتحرك لكن صوته ظهر ليس من فمه، بل من كل الجدران

«كنتُ سأفعل منذ سنوات»

شهد «سنوات؟! هو يعرفني من قبل؟!»

سامر صرخ: «اصمت ليس لها علاقة بماضيك»

الصوت عاد: «هي أكــثر علاقة مما تظن»

مدّ الظل يده لا...ليس يدًا امتدّ جزء من الظلام لمس الأرض فاهتزّت كل جدران القبو الرجل وقع فورًا ...سامر وقع على ركبتيه شهد صرخت ووقعت بينهما الظل قال: «انتهى وقت الهروب»

ثم اختفى ليس اختفاء كامل بل كأنه انحنى ودخل داخل الأرض لكن صوته بقي في رأس شهد: «تعالي إلى المكان الذي بدأ منه كل شيء»

بعد اختفائه انقطعت كل الإشارات الجهاز توقف الهمسات تلاشت سامر نهض بصعوبة، التقط شهد بين ذراعيه:

«لا تسمعي له ...سأحميك... سنوقفه... أقسم»

شهد نظرت إليه بعينين دامعتين: «إذا كان يعرفني من قبل من أكون أنا؟»

أغمض عينيه: «هذه... هي المشكلة»

ثم أضاف:

«ظلّك ظهر قبل أن تحققي في حياة غيركِ، يمكن من قبل ولادتك»

خرج سامر وشهد والرجل المتسلل من القبو الهواء الخارجي كان باردًا بشكل غير طبيعي كأن وجود الظل ترك أثرًا في الجو نفسه شهد كانت تمشي بصعوبة الجهاز داخلها أصبح هادئًا أكثر من اللازم وهذا الهدوء كان يخيفها ...سامر أخذ نفسًا عميقًا:

«يجب أن نذهب لأخطر مكان موجود... المكان الذي كل الأطراف تحاول الوصول إليه والظل يسحبك إليه»

الرجل قال دون أن ينظر إليهما:

«المكان الذي بدأ منه كل شيء المكان الذي صنع الظل»

شهد «أين؟»

سامر نظر إلى الشارع المظلم ثم قال: «المنطقة المحظورة»

كانت المنطقة خارج المدينة، بعيدة عن الطرق العامة، لا إضاءة لا حركة لا بُنى سكنية كانت منطقة خالية تمامًا كأن الحياة رفضت أن تُبنى هنا الطريق كان محفورًا، الأرض مشققة، والأسلاك القديمة مدفونة بعمق قال الرجل: «هذه المنطقة ممنوعة من أي بناء أو تسجيل منذ ٢٢ سنة»

شهد شكّت: «٢٢ سنة؟ هذا قبل أن أولد تقريبًا ما علاقتها بي؟»

سامر لم يجب بل وقف عند بوابة حديدية صدئة، ووضع يده على رمز محفور فيها رمز دائري يشبه عينًا نصف مغلقة

شهد تساءلت: «ما هذا؟»

سامر تمتم «شعار المشروع»

ثم نظر إليها: «المشروع... اللي كنتِ جزء منه»

«ما الذي تقوله؟ أنا ولدت في عائلة عادية بمدينة عادية حياتي عادية»

سامر اقترب منها، بصوت منخفض لكنه ثابت:

«لا يا شهد حياتك بدأت هنا قبل أن تنتقلي لأسرتك التي ربتك»

شهد تراجعت خطوة: «لا هذا مستحيل»

الرجل ابتسم بسخرية: «هل فكرتِ أن الظل اختارك صدفة؟

وأن الجهة الثالثة تراقبك عبثًا؟ والجهاز زُرِع في عنقك بلا سبب؟»

ثم أشار إلى البوابة: «هذا المكان...فيه أجوبة أكثر مما تظنين»

سامر وضع يده على كتفها: «شهد...والداك الحقيقيان... كانا جزءًا من مشروع سرّي...وانتهى المشروع قبل ولادتك بسنة»

عيناها اتسعتا حدّ الصدمة «تقصد أني لست ابنة العائلة التي ربّتني؟»

سامر همس: «أنتِ ابنتهم...لكن لست ابنتهم الأولى»

دفع سامر البوابة الثقيلة أصدرت صريرًا مرعبًا، كأنها تفتح لأول مرة منذ سنوات طويلة داخل المنطقة يوجد مبانٍ مهدّمة أبراج مراقبة محترقة أبواب معدنية ملقاة لوحات ملطخة بالسواد خرائط ممزقة أنابيب مختبرات مكسورة شهد لم تستطع التنفس للحظة «سامر ما الذي كان يجري هنا؟»

الرجل تقدّم، نظر إلى مشروع بناء قديم، مكسور السقف، وقال:

«هنا...كان يُخلَق بشرٌ...بصفات مختلفة»

شهقت شهد بقوة: «تقول... تجارب؟!»

سامر أومأ: «ليست تجارب... مشروع لتطوير بشر بقدرات إدراكية عالية...قادرة على إيحاء وعلى تحليل سريع وعلى تواصل غير مباشر»

شهد همست: «مثل... الظــل؟»

سامر «بالضبط»

توقفت شهد فجأة، رفعت يدها على رأسها، كأن ذكريات بعيدة خافتة تحاول أن تطفو «سامر...أذكر شيء...أذكر... غرفة بيضاء وصوت صوت امرأة...تقول اسمي...شهد...شهد...»

اقترب منها «هذا طبيعي...أنتِ كنتِ رضيعة هنا»

«لماذا أخرجوني؟ أخدوني لعائلة ثانية؟ لماذا حذفوا كل شيء عني؟»

الرجل قال: «لأن المشروع توقف فجأة وانفجر من الداخل والمبنى الذي ولدتي فيه احترق كاملًا إلا غرفة واحدة»

سامر: «الغرفة اللي كنتِ فيها»

شهد بصوت مرتجف: «إذا المشروع أغلق لماذا الظل لايزال يتبعني؟ لماذا زرع جهاز داخل جسدي؟ ماذا يريد؟»

سامر «لأنكِ...آخر بقايا المشروع»

هبت ريح باردة جدًا قطعت الهواء فوق رؤوسهم شهد تراجعت وقالت

«سامر هناك أحد»

رفع سلاحه فورًا «قادم...»

الرجل بصوت منخفض جدًا «ليس من الجهة الثالثة ليس من الشرطة»

شهد «الظل؟»

سامر هزّ رأسه: «لا...ليس الظل...لكن شيء...تابع للظل»

«ماذا يعني تابع؟!»

وقبل أن يجيبها أحد... خرج من خلف أحد المباني شخص أو شيء يشبه شخصًا طويل هزيل وجهه مغطى بقناع أسود وعيناه تلمعان بضوء غير بشري وقف أمامهم ببطء...وقال بصوت معدني: «أعيدوها للمنشأة»

شهد: «لا... لا يمكن...»

سامر تقدّم خطوة للأمام: «حاول إن استطعت»

الشخص المجهول رفع يده وسقطت ثلاث طائرات مسيّرة سوداء من السماء كانت تراقبهم دون أن يشعروا

قال الشخص بصوت ثابت: «الأمر من الظل لا عودة أعيدوها أو نأخذها»

تمسكت بسامر: «لماذا جميعهم يريدون عودتي له؟ من أنا بالضبط؟»

سامر نظر إليها، وصوته كان مكسورًا لأول مرة:

«لست فقط آخر بقايا المشروع يا شهد أنتِ نتيجته الوحيدة التي نجحت»

وقف الكائن الطويل الهزيل أمامهم، ملامحه مطموسة تحت قناع أسود لا يظهر منه سوى بريق عينين ثابتتين، باردتين كأنهما ليستا بشريتين قال بصوتٍ معدنيّ خافت، نبرة لا تحمل غضبًا ولا رحمة:

«أعيدوها إلى المنشأة هذا أمر»

شدّ سامر على سلاحه، نبرة حادة خرجت من صدره: «لن تلمسها»

لم يتحرك التابع كأن الجسد مجرد خدعة، والقوة الحقيقية في مكان آخر رفع يده اليسرى ببطء وبحركة واحدة، سقطت ثلاث طائرات مسيّرة صغيرة من السماء، سقطت بلا صوت، مثل السابقات كأن الهواء نفسه انكمش حولها شهد بخوف «ما هذا الكائن...؟»

الرجل المتسلّل قال وهو يتراجع:

«ليس بشريًا وليس آليًا بالكامل...إنه خليط...مزيج صنعه الظل بنفسه»

قال سامر بحدّة: «لست سوى أداة قل لسيدك أن يأتي بنفسه إن أرادها»

التابع حرّك رأسه ببطء، وكأنه لا يتأثر بأي استفزاز

«هو لن يأتي الآن هو يستدعيها»

وضعت شهد يدها على جانب عنقها النبض لم يكن طبيعيًا؛ كان متقطعًا موجات كهربائية خفيفة تتسلل من تحت الجلد تنفسها صار أثقل

«سامر الجهاز يستجيب لصوته كأن هناك شيئًا يستيقظ داخلي»

اقترب منها سريعًا: «تماسكي لا تدعيه يوجّهك»

لكن صوت التابع قاطعهم «هي خُلِقَت لتُوجَّه ولن تمنعها قوة بشرٍ مثلك»

شهد «أنا لست مخلوقة لأحد»

وفي اللحظة نفسها لمع الطرف السفلي من ظلّها على الأرض كان يتحرك ليس مع خطواتها، بل قبلها وكأن ظلّها يعرف ما ستفعله قبل أن تفعله تراجعت «سامر...ظِلّي يتحرك!!!»

سامر شهق بدهشة لم يُظهرها يومًا في المهمات «هذا... مستحيل»

اقترب التابع خطوة نحو شهد رفع يده اليمنى وفي اللحظة التي امتدت فيها الأصابع المعدنية السوداء نحوها اندفع ظلّ شهد فجأة إلى الخلف، وهي معه، كأن قوة غير مرئية جذبتها بعيدًا عن اللمسة لم تسقط لم ترتطم بل انزلقت بجسد كامل كما لو دفعتها يد خفية سامر صرخ: «شهد» لكنها وقفت بثبات لم تعرفه سابقًا تنفّست، ونظرت إلى يدها المرتجفة: «أنا لم أفعل هذا...ليس أنا...»

الرجل المتسلل قال بذهول خافت:

«هذه الاستجابة الانعكاسية المرحلة الأولى من قدرات المشروع»

سامر التفت بسرعة

«قلتُ إن المشروع أُغلق! كيف بقيت تلك القدرات فيها؟»

الرجل: «كان الظل المسؤول الأخير عن مشروع تطويرها وهو الوحيد الذي عرف كيف يُبقي القدرة حيّة»

الرياح سكنت فجأة كأن المنطقة كلها تحبس أنفاسها قال التابع:

«إن لم تسلّموها...سآخذها الآن»

انطلق نحوهم بسرعة ليست بشرية سامر صرخ: «تراجعي!!!»

وأطلق طلقة مباشرة نحو صدر التابع اخترقت الرصاصة القناع لكن لم يسقط لم يتألم لم يتحرك حتى وقف كما هو، والطلقة خرجت من الجانب الآخر وسقطت على الأرض كقطعة معدنية باردة

شهد: «الطلقة لا تؤثر عليه!»

سامر قال من بين أسنانه: «هذا الشيء لم يصنع ليموت»

رفع التابع يده ليهجم ثانية، لكن توقّف انخفضت ذراعه، جسده ارتجف، وعيناه انطفأتا للحظة صدر منه صوت تشويش خافت

الرجل المتسلّل قال باندهاش: «ما الذي يحدث؟ لماذا توقف؟»

سامر فهم أولًا نظر إلى شهد ثم إلى الأرض خلفها حيث ظلّها صار أطول

أعمق أغمق همس بفزع: «الظل... وصل»

هبت ريح باردة الأوراق على الأرض بدأت تدور ...المباني المهجورة أصدرت صوت طحن زجاج... الهواء صار أثقل من أن يُتنفّس وأجهزة التابع انطفأت تمامًا ثم بدأت الأرض خلفهم تسودّ كأن الظلام يُسكب عليها قطرة بعد أخرى ...شهد تراجعت: «سامر...؟»

همس لها: «هذا... ليس هو نفسه هذا...مجرد أثر من خطواته»

الظل لم يظهر لكن أثره فقط كان قادرًا على شلّ كائن صُنع ليواجه جيوشًا الرياح همست جملة لم يخطها أحد ولم يقلها أحد لكن سمعوها جميعًا:

«أعيدوها إليّ»

الريح توقفت فجأة الظلام انكمش والتابع انحنى ببطء ثم اختفى، كأن الأرض ابتلعته سقطت شهد على ركبتيها، جسدها يرتجف:

«هو يريدني ليس لقتلي بل لإعادتي إليه لماذا؟ من أكون؟ ماذا فعلوا بي؟ وما علاقتي بهذا الظل؟»

سامر اقترب منها، لم يكن في صوته قوة هذه المرة:

«شهد أخشى أن علاقتك به أقدم من حياتك نفسها»

كان المكان ساكنًا...سكونًا لا تسمعه الآذان، بل تشعر به العظام... جلس الثلاثة على أطراف المنطقة المحظورة، وأنفاسهم متقطعة بعد المواجهة شهد قرب سامر، عيناها لا تزالان ترتجفان بلمعٍ غريب، كأن الجهاز في داخلها لم يطفأ تمامًا أما سامر فقد كان ينظر إلى الأرض، وكأنه ينتظر شيئًا يعرف أنه سيأتي الرجل المتسلل وقف بعيدًا، يداه في جيبيه، وجهه شاحبًا من أثر توقف "التابع" ثم تحرك الهواء ليس حركة ريح بل انبعاث خفيف، مثل اهتزاز صوتٍ قبل أن ينطق.

شهد: «سامر... الصوت... يعود...»

وفعلاً...همسٌ بدأ ينتشر في الهواء، ليس من جهة معينة بل من كل الجهات ثم تلاشى كل همس وظهر صوت واحد هادئ عميق ثقيل كأنه خرج من جدار حجري «سامر...»

شهد: «إنه... يناديك»

سامر رفع رأسه، وعيناه تقدّمتا خطوة قبل جسده: «لقد تأخرتَ...»

الصوت ردّ: «وأنتَ...تجاوزت حدودك»

لم يظهر جسد ولا ظل متكامل ولا هيئة لكن كل ذرة في الهواء كانت تنطق بوجوده ...شهد أخذت خطوة للخلف، ظهرها يرتجف:

«سامر لماذا صوته مألوف؟ كأنني...سمعته من قبل...»

سامر أغلق قبضته: «لا تحاولي التذكّر»

لكن الصوت قاطعه: «بل... حاولت وتذكّرتِ شيئًا»

اختنقت شهد: «كيف... تعرف؟!»

«أنتِ... منّي ولستِ منهم.»

وقف سامر بين شهد والفراغ الذي يخرج منه الصوت ظهره لها، عيناه تحدّقان في المكان الذي لا شيء فيه قال بشراسة لم تسمعها شهد منه من قبل: «لن ألمحك وأنت مختبئ خلف الظلام اخرج»

الصوت ضحك ضحكة قصيرة ضحكة موجعة

«كعادتك لا تفهم أنك لا تستطيع أن تراني حتى لو أردتُ ذلك»

سامر «لقد عملتَ معي لسنوات كنتَ رجلًا لحمًا ودمًا! لِماذا صرت هذا؟»

الصوت تغيّر صار أبطأ أعمق «لأنكم...خنتم المشروع»

شهد: «خُنتُم ماذا؟ مَن خَان؟! أنا... ما علاقتي؟!»

الصوت هادئ «كنتِ المرحلة الثالثة لكنهم أغلقوا المشروع قبل اكتمالك»

سامر «أغلقناه لأنه خرج عن السيطرة لأنك خرجتَ عن السيطرة»

«بل...لأنكم خفتم من النجاح»

وضعت شهد يدها على رأسها: «هناك صور...ومساحات بيضاء... وأصوات...وسرير صغير...وغرفة...أمي...كانت هناك؟ كنتُ طفلة»

سامر أمسك ذراعها فورًا: «شهد! لا تدعيه يدخل ذاكرتك!»

لكن الصوت اقترب ليس بالصوت بل بالشعور

«دعها تتذكّر...فهي وُلدت هنا...وخرجت من بين يديّ»

جفّت دماءها: «خرجت من يديك؟ كنت هناك؟ كنتَ موجودًا حين ولدت»

الصوت: «كنتُ... مراقب المرحلة وكنتِ...أكثر من تجربة»

سامر صرخ: «توقف لن تمسّها لا بذاكرة ولا بجسد لقد خرجتَ عن المشروع قبل أن تفتح عينيها»

الصوت بردٍ لا يوصف: «أنا...لم أخرج أنتم...من أغلق الباب»

سامر شدّ قبضته: «لأنك بدأت تتغير! لأنك لم تعد تفكر كبشر لأنك قتلت الفريق الثالث كاملًا»

شهقت شهد، وضعت يدها على فمها: «قتلت؟ قَتل من؟ قتل بشرًا؟»

الصوت قال ببطء: «قتلتُ من حاولوا إيقاف الخلق»

الرجل المتسلل قال فجأة، وقد أصابه الذهول:

«أنت تحمّيها؟ كل هذا الوقت لأنها المرحلة الثالثة المكتملة؟!»

الصوت بوضوح جلي «هي... النموذج الوحيد...الذي نجح»

شهد: «نجحت... بماذا؟ ماذا فعلتم بي؟ ماذا... أكون؟!»

الصوت قال جملة توقف لها قلب سامر وشهد والرجل:

«أنتِ...آخر نسخة من الإنسان قبل التطوير»

سامر تراجع خطوة عيناه ارتجفتا هيبته العسكرية سقطت خلال ثانية

«لا...لا تقول هذا...لا تقول...أنك تحاول إعادة المشروع...من خلالها»

الصوت بابتسامة خفية في النبرة: «بل...أعيدها إلى مكانها الطبيعي»

الأرض تحت أقدامهم اهتزّت هزة خفيفة الهواء تغيّر لونه ظلال الأبراج المهدمة امتدت أطول ممّا يجب الصوت قال آخر جملة:

«سآتي بنفسي... لأخذ ما هو لي»

ثم سكن كل شيء شهد سقطت على ركبتيها، عيناها فارغتان كأن الكلمات شقت داخلها ممرًا سامر جثا قربها، صوته مكسورًا:

«شهد...اسمعيني لن أدعه يأخذك حتى لو كان كل هذا صحيحًا لن أدعه»

لكن شهد، وهي تنظر إلى يديها، قالت بصوت خافت:

«سامر...ماذا لو كنتُ...لا أنتمي لكم؟»

لم يكد صوت الظل يختفي من الهواء، حتى بدأت الأرض تحتهم تهتزّ بشكل أخطر الرجل المتسلّل نظر إلى السماء وهتف:

«احتموا! إنهم يأتون! الجهة الثالثة رصدت نشاط الظل وهذا كافٍ ليجعلهم يهاجمون المنطقة كاملة!»

شهد: «يهاجمون... من؟ نحن؟»

قال الرجل: «حين يتعلق الأمر بالظل هم يضربون كل من يوجد في المكان شهد أنت الهدف الأول الآن»

سامر جذب يد شهد: «اركضي! لا تنظري خلفك!»

لكن قبل أن يتحركوا انفجرت السماء فوقهم كأن الضوء تحطّم سرب كامل من الطائرات السوداء هبط دفعة واحدة، مجنّحة، سريعة، كأنها أسهُم سوداء شهد: «سامر... إنهم يطوقوننا!»

سامر شدّ على يدها، صوته ثابت رغم الخطر:

«إلى الداخل... إلى المبنى القديم لن يجرؤوا على إدخال معداتهم هناك»

ركضوا نحو مبنى ضخم متهالك، سقفه نصف ساقط، نوافذه محطمة، لكن جدرانه لا تزال صامدة وراءهم نزلت القوات بإيقاع واحد وخطى واحدة وأقنعة زجاجية بيضاء تخفي كل ما في وجوههم تحركوا كأنهم رجال لكن هندامهم وانضباطهم وقوة النزول لم تكن لجنود عاديين قال الرجل المتسلل بصوت مخنوق:

«ليسوا بشرًا كاملين بل وحدات مطوّرة مضادة للظل»

دخل الثلاثة المبنى، الجدران المحروقة والكتابات القديمة تتدلّى مثل أشباح معلّقة كانوا يركضون عبر الممرات حين توقفت شهد فجأة «سامر...أشعر أن شيئًا يناديني من هنا... من العمق»

سامر أمسك كتفيها:

«هذا ليس نداءً...هذا استدراج! لا تدعي صوت الظل يوجّهك!»

لكنها رفعت يدها نحو الظلام داخل المبنى، عيناها تتسعان ببطء

«لا...هذا الصوت ليس صوته...هذا صوت...امرأة»

سامر ارتجف: «امرأة؟»

أغمضت عينيها: «نبرة أعرفها كأنها كانت تُناديني منذ سنوات أمي؟»

سامر صرخ: «شهد!!! لا تصدّقي شيئًا!»

الرجل المتسلّل قال بقلق:

«المنطقة تحمل بقايا التسجيلات قد يكون صدى ذاكرة أو فخًا»

لكن شهد تراجعت خطوة، ثم همست بصوت لا يشبهها:

«هناك غرفة ورقم على الباب...رقم... ثلاثة...»

سامر: «الغرفة ٠٣...غرفتكِ الأصلية»

قبل أن يتحركوا، انفجر باب المبنى الخلفي ودخلت وحدات الجهة الثالثة بخطوات ثابتة كانت أسلحتهم تتوهج بضوء أزرق، ضوء يعني شيئًا واحدًا أسلحة مصممة لإسكات أي قدرة حتى قدرات شهد صرخ أحدهم بصوت آليّ: «هَدَف ٠١ استسلمي»

شهد: «أنا الهدف رقم واحد لديهم...؟»

سامر دفعها خلفه وصاح: «ابتعدوا عنها!!!»

لكنهم لم يتوقفوا بل تقدّموا كما لو كان الأمر برمّته محسومًا من البداية الرجل المتسلّل قال لسامر: «الأسلحة التي يحملونها لو أصابت شهد لن يترك الجهاز داخلها يعمل سيُعطّله نهائيًا وقد يقتلها»

سامر عضّ على أسنانه: «إذن لن يصيبوها»

ركضوا عبر الممر، وصوت القوات يقترب، خطاهم الحديدية تتردد مثل طبول الحرب شهد بدأت تلهث:

«لا أستطيع الركض أكثر...صدري... يشتعل...هناك موجة ...داخلي»

سحبها سامر من يدها بشدة: «اصمدي! لا تدعي الجهاز يسيطر!»

لكنها توقفت فجأة، كأن قدمَيها التصقتا بالأرض

«سامر قدماي ليستا لي هناك شيء يدفعني إلى جهة معينة»

الرجل المتسلّل «إنها تتجه إلى الغرفة ٠٣ الجهاز يوجّهها والظل يقودها»

سامر صرخ في وجه الرجل: «اسكت!»

لكن الرجل لم يكن يكذب شهد تسير بخطوات ثابتة نحو عمق المبنى وكأن قوة خفية تجرّها

وصلت القوات إلى مدخل الردهة رفع أحد الجنود سلاحه ووجّهه نحو صدر شهد لم يتردد لم يتأثر لم يكن يتصرف كإنسان قال الآلي بصوت رتيب: «الهدف في المدى أطلق»

شهقت شهد وأغمضت عينيها سامر صرخ: «شششـــــهـــــد!!!!»

وفي تلك اللحظة حدث شيء لم يكن لأيّ منهم أن يتوقعه عندما انطلقت الطلقة الزرقاء لامست الهواء ثم توقفت نعم، توقفت تجمدت كأن الزمن التفّ حولها وصار سمينًا... ثقيلاً ...الطلقة لم تسقط ولم تتقدم ظلّت معلّقة بين السماء والأرض على بعد متر من قلب شهد

شهد: «ما... هذا؟!»

سامر نظر إليها بذهول: «شهد...أنتِ... أوقفتِ الطلقة!»

الرجل المتسلّل بصوت مبحوح: «هذه ليست قدرة عادية هذه القدرة التي لم ينجح أي نموذج في الوصول إليها المرحلة الثالثة كاملة»

صرخ قائد الوحدة: «إطلاق الغاز!»

فُتِحت أربع أسطوانات وانتشر دخان فضيّ يمتد بسرعة نحوهم جميعًا سامر شدّ يد شهد:

«اركضي الغاز يثبّت الأعصاب سيشلّك سيمنعك من استخدام أي قدرة»

الرجل المتسلّل صاح: «الغرفة ٠٣ هناك! إن استطعنا الوصول نغلق الباب وإلا سيقضون علينا جميعًا!»

شهد كانت ترتجف لكنها سمعت صوتًا في رأسها، عميقًا، بطيئًا

«تعالي...إلى حيث بدأتِ...إلى حيث أنجبتُكِ»

شهد: «سامر...هو... يناديني مجددًا...»

سامر صرخ بكل ما في صدره: «تجاهليه! تجاهليه أنتِ لستِ ملكًا لأحد!»
وصلوا إلى باب معدني قديم، عليه رقم محفور:03

وضعت يدها على الرقم، وعيناها تمتلئان بالدموع:

«هذا...هذا المكان...أعرفه...أشعر أن شيئًا مني...تركته هنا»

سامر أمسك يدها بشدة: «شهد...إذا دخلتِ قد لا تتمكنين من الخروج»

لكنها لم تستطع الإجابة لأن الباب...فتح وحده من دون أن يمسه أحد فُتح ببطء، صوت معدني طويل، كأنه لم يُفتح منذ زمن بعيد ومن الداخل خرجت رائحة نسيت ذاكرة الزمن أن تمحوها ...رائحة غرفة وُلدت فيها شهق سامر، خطا خطوة للخلف: «لا...لا يمكن...»

شهد همست وهي ترتجف: «سامر... هناك شخص داخل الغرفة»

سامر اتسعت عيناه: «مَن؟!»

شهد لم ترَ وجهًا، لكنها رأت هيئة متجعدة ظلّت واقفة في الظل وقالت بصوت ميت: «سامر...هذه...امرأة»

دخلوا الغرفة بخطوات بطيئة، والهواء في الداخل كان ثقيلاً...مكتومًا... كأن الزمن لم يتحرك هنا منذ سنوات... الغرفة صغيرة، جدرانها مغطاة بطبقة رمادية تشبه رماد الحرائق، والأرضية مليئة بورق مبعثر ومعادلات مكتوبة بخط مرتجف لكن الشيء الذي يلفت النظر هو المرأة امرأة طويلة، هزيلة، تقف بظهرها لهم، شعرها الرمادي يصل إلى منتصف ظهرها، ملابسها بسيطة وكأنها لم تغادر هذا المكان منذ زمن لم تلتفت فورًا كانت تقف أمام سرير صغير صدئ، عليه بطانية قديمة ووسادة ممزقة ...شهد «ما هذا...؟ هذا... سرير طفل»

سامر تجمّد وجهه تغيّر كما لم يتغيّر من قبل

الرجل المتسلّل قال بصوت خافت: «هذا...سرير المرحلة الثالثة»

التفتت المرأة ببطء بخوف وبحزن لم يلمحه أحد منذ سنوات كانت عيناها واسعتين، باهتتين، لكن داخلهما توهّج غريب ليس توهج مرض بل توهج شخص رأى أشياء لا ينبغي لأحد رؤيتها نظرت إلى شهد... نظرت طويلاً كأنها تنظر إلى مرآة مكسورة تجمع فيها ثلاثين سنة من الذكريات

همست المرأة: «أخيرًا...عدتِ»

شهد: «من... أنتِ؟»

المرأة تقدّمت خطوة صوت قدميها على الأرض كان خفيفًا، لكن وقع كلماتها كان كالصدمة: «أنا...من أعطاكِ الحياة»

تراجعت شهد، يدها على صدرها: «لا هذا مستحيل أمي التي ربتني»

قاطعها صوت المرأة، هادئ، لكن حاسم:

«أمك التي ربتك كانت فقط حاضنة أمّا أنا... فأنا التي صنعتك»

سامر تراجع خطوة كأنه صُدم أكثر من شهد نفسها

شهد انتبهت لارتجافه: «سامر...أنت... تعرفها؟»

لم يجب المرأة ابتسمت بحزن: «يعرفني...وأعرفه جيدًا»

شهد: «سامر... ماذا يعني هذا؟» ثم التفتت إلى المرأة:

«مَن أنتِ حقًا؟ عالِمة؟ باحثة؟ عاملة؟ جزء من المشروع؟»

المرأة رفعت يدها وأشارت إلى اسم محفور على الجدار مغبرّ لكن يمكن قراءته: الدكتورة كريستين رئيسة مشروع "المرحلة الثالثة"

«المسؤولة عن المشروع؟ أنتِ من أجريتِ التجارب؟ أنتِ من صنعتِني؟»

المرأة اقتربت خطوة أخرى، وعيناها امتلأتا بالدموع: «كنتِ...ابنتي»

شهقت شهد بصوت مختنق، تراجعت حتى ارتطم ظهرها بالحائط

«ابنتكِ؟ أنا؟ أنا نتيجة تجربة؟ لستُ طفلة لستُ إنسانة عادية لستُ...»

سامر أسرع إليها، أمسك كتفيها:

«شهد مهمتكِ الآن لا أن تنهاري اسمعي...اسمعي فقط...»

لكنها دفعت يده لأول مرة:

«لا تلمسني كنتَ تعرف! كنتَ تعرف الحقيقة؟! كل هذا الوقت؟!»

سامر صمت لم ينكر وهذا وحده كان اعترافًا قالت الدكتورة كريستين:

«كنتِ النتيجة الوحيدة الناجحة...مشروعًا استغرق ١٢ سنة...واستنزف أرواحًا...وذنبًا لا ينتهي»

شهد كانت ترتجف: «لماذا...لماذا أنجبتِني؟ لأي غرض؟»

المرأة أغلقت عينيها:

«لإنقاذ البشر...بخلق جيل...أكثر قدرة... أكثر إدراكًا... أكثر حماية»

فتحتهما...ونبرة الخوف انكسرت في صوتها:

«لكن الظل...كان أول نموذج... الأقوى...والأخطر»

شهد: «كان قبلي؟ قبل المرحلة الثالثة؟»

الدكتورة «نعم...كان النموذج الأول الأذكى والأسرع والأهم الأكثر وعيًا»

سامر أغمض عينيه شهد انتبهت: «سامر...؟ لا...لا تقل لي...»

سامر بصوت ثقيل: «نعم...عرفته... قبل أن يصبح...ما هو عليه الآن»

قالت الدكتورة بصوت خافت: «كان اسمه...ليو»

الاسم سقط في الغرفة مثل سقوط حجر في بئر عميقة شهد:

«ليو...؟ هذا... اسم بشري...اسمه كان ليو؟»

الدكتورة أومأت: «كان أول من خضع للتطوير كان...أخي»

شهد: «أخوك؟!»

سامر وضع يده على جبينه: «لهذا...لهذا كان قريبًا من المشروع...لهذا عرف كل شيء...لهذا لم نستطع السيطرة عليه...»

الدكتورة «ولذلك حين كنتِ رضيعًا أراد أن يأخذكِ لتكوني كما يريد لتكوني نسخة لا تخطئ نسخة كاملة أختًا أو ابنة أو مشروعًا لا أحد يعرف»

قبل أن تكمل، سمعوا صوتًا مدوّيًا الباب الخلفي للمبنى تحطم بقوة قوات الجهة الثالثة دخلت، أسلحتها موجهة مباشرة نحوهم قائد الوحدة نادى: «الهدف ٠١! استسلمي الآن وإلاـــ»

لكن جملة القائد لم تكتمل لأن الضوء في الغرفة انطفأ فجأة كلّه دفعة واحدة والبرد امتلأ... ثم ظهر ظلّ طويل على الجدار قبل أن يظهر أي جسد ظلّ رجل يمتدّ حتى منتصف الغرفة دون أن يكون هناك رجل

الدكتورة شهقت: «لا...ليس الآن...ليس هنا...!»

شهد تجمدت: «هو...؟»

وسمعت صوته...أقرب من أي مرة: «جئتُ... لآخذ ما هو لي»

انطفأ الضوء...ليس انطفاءً طبيعيًا، بل كأن الهواء نفسه امتصّ الضوء وابتلعه لم يبقَ سوى ظلال... ظلال كثيفة تتزاحم فوق بعضها حتى صار الجدار خلفهم شبه أسود ثم ظهر..."الظل".

لا هيئة كاملة ولا جسد واضح بل خط أسود غامق يتمدد على الجدار كأن الجدار نفسه صار يتنفس تجمّدت القوات أسلحتهم تهتزّ في أيديهم كأنها تعرف مسبقًا أن لا فائدة منها

قائد الوحدة صرخ: «الظــل! تفعيل البروتوكول السادس!»

لكن البروتوكول لم يعمل كل الأجهزة انطفأت الأسلحة بردت الأقنعة الزجاجية تعتّمت وصوت الظل خرج...هادئًا...ثقيلاً...قويًا كأنه يمرّ عبر أرواحهم قبل آذانهم: «توقّفوا...عن المحاولة»

شهد: «سامر...هو هنا...هو... فعلاً هنا...»

سامر وقف أمامها تلقائيًا، يده تمتد دون وعي ليحميها لكن الظل قال: «ابتعد عنها... يا سامر.»

نبرة غير غاضبة، لكنها تحمل أمرًا لا يُناقَش سامر ردّ بصوت مكسور الغضب: «إن أردتها...فستأخذها فوق جثتي»

الصوت: «لو أردتُ قتلك...لما نطقتَ هذه الجملة»

الدكتورة لم تكن تنظر إلى الجدار بل كانت تنظر إلى الأرض، رأسها ينخفض وكتفاها ترتجفان همست: «ليو ابتعد ليس الآن أرجوك»

تجمّد الظل لحظة ظلّه ارتجف كأنه تذكّر شيئًا أو كأنه يتألم من اسمه

قال بصوت منخفض جدًا: «كريستين...لا زلتِ هنا...»

ارتجفت الدكتورة: «كنتُ أخفيها عنك...كل تلك السنوات» «أعرف»

«كنتُ أحاول إنقاذها» «أعرف»

«وكنتَ...تريد أن تأخذها...لتكمل ما بدأته...»

الصوت اهتز: «أعرف... وأنني كنتُ على صواب»

شهد: «صواب؟ بماذا؟ بأخذي؟ بزراعة جهاز في جسدي؟ بمطاردتي؟»

الظل قال بوضوح مرعب:

«أنتِ...لستِ مجرد ابنة مشروع...أنتِ العنصر الذي سيُتمّه»

صرخ قائد الوحدة: «افتحوا النار!!! افتحوا الن—»

لكنه توقف قبل أن يكمل جملته لأن كل من في وحدته رفع يده على رأسه يصرخ من الألم صوت تشويش مرعب خرج من الأجهزة داخل جماجمهم واحد اثنان ثلاثة وسقطوا كلهم على الأرض دون طلقة رصاص واحدة

شهد: «سامر...هو... يعطّلهم...داخل رؤوسهم!!»

سامر، رغم الرعب، تمسّك بثباته:

«شهد، تراجعي خطوة لا تتكلمي معه لا تنظري إلى الظل مباشرة»

لكن الظل قال: «لتتقدم...فلا مهرب لها بعد الآن»

صرخت الدكتورة أخيرًا، وهي تتقدم خطوة أمام الظل:

«إن اقتربتَ منها قد تموت! فأنت لم تكتمل وهي اكتملت هي أخطر منك!»

الجدار ارتجف، الظل ارتفعت أطرافه كأنه يغضب «هي منّي ولن تقتلني»

الدكتورة صرخت: «لا!! هي ليست منك هي منّي أنا! وأنا صنعتُها لتكون أقوى منك! وأذكى منك! ولكي تُوقفك إن خرجتَ عن السيطرة!»

شهقت شهد، اختنق صوتها: «أنا...صُنِعتُ...لأقتله؟»

سامر صرخ: «شهد!! لا تسمعي شيء!!!»

لكن الظل قال ببطء، وبنبرة كأنها تخرج من أعماق جرح قديم:

«أنتِ...لم تُخلقي لتقتلي أحدًا بل...لتعودي إليّ»

امتد الظل من الجدار ليس كشكل بشري، بل كتلة سوداء تقترب ببطء

تتسلل على الأرض نحو قدمَي شهد ...سامر صرخ: «لاااا!!!»

وقف أمامها، سلاحه في يده لكن يده ترتجف ليس خوفًا بل لأنه يعرف الحقيقية لا شيء يوقف الظل كريستين صرخت:

«ليو! توقف! إن لم تتوقف...سأفعل الشيء الذي تخشاه منذ سنوات!»

توقف الظل فجأة وكأن كل ذراته تجمّدت قال الصوت ببطء شديد:

«لن تستطيعي...يا كريستين»

الدكتورة رفعت يدها وسحبت من جيبها الصغير جهازًا مربعًا صغيرًا مغطى بطبقة من الغبار قالت شهد: «ما هذا...؟»

الدكتورة: «مفتاح إيقافه»

سامر صرخ: «انتبهي!!! إن استخدمتِه...قد تموتين! وهو...لن يسمح»

الظلام في الغرفة بدأ يلتفّ كأن دائرة تتشكل والدكتورة ترفع الجهاز، يدها ترتعش لكن عيناها ثابتتين قالت بصوت مكسور:

«ليو...ابتعد عن ابنتي...وإلا...سأُنهي ما بدأته منذ عشرين عامًا»

الظل ردّ بصوت لم يعد بشريًا: «هي... ليست ابنتك... هي لي»

صرخت شهد صرخة كاملة، جلست أرضًا ووضعت يديها على رأسها والجهاز داخل جسدها بدأ يشتعل كشرارة سامر حاول الاقتراب منها:

«شهد!!! انظري إليّ!!! لا تدعيه يدخل!! شهد!!!!»

لكن الظل قال بوضوح مخيف: «لقد... دخلت»

وتبدأ الأرض بالاهتزاز...الاهتزاز ازداد...كأن الأرض تحتهم تتحوّل إلى قلبٍ غاضب يرتجف داخل قفص صدريّ عملاق شهد ضغطت رأسها بكفيها، صوت نبضات داخلية أخذ يتضاعف كأنه قلب آخر ينبض داخل جسدها ولا يخصّها سامر صرخ:

«شهد!!! انظري إليّ! ركّزي بصوتي، لا بصوته! انتبهي!!!»

لكنها لم تستطع... الصوت الذي يتسلل لعقلها كان أقوى، أعمق، أكثر دفئًا... وأكثر رعبًا صوتٌ يشبه الهمس: «دعيني... أدخل»

ارتجفت شهد: «لا... لا أريد... أرجوك... ابتعد...»

لكن الظل تقدّم أكثر، كتلة سوداء تزحف فوق الأرض كأنها ماء ظلاميّ حيّ يتجه نحوها الدكتورة صرخت:

«ليو إن لمستها الآن ستستيقظ الخلية المزروعة أنت تعلم ما يعنيه ذلك»

توقّف لحظة، كأنه يفكر... ثم قال ببطء يشبه الافتراس: «هذا...ما أريده»

صرخت شهد صرخة حادّة ليس بسبب الألم بل بسبب النبضة نبضة ضوء خرجت من صدرها كومضة قصيرة ثم اشتعلت مثل خط نار داخلي قال سامر بيأس: «يا إلهي... فعّل الجهاز...»

الدكتورة تراجعت خطوة، الخوف في عينيها يتحوّل لذعر صريح:

«لا... لا هذا مستحيل! الخلية الجينية ما زالت خاملة كيف أيقظتها؟!»

الظل قال بصوت منخفض، هادئ بشكل قاتل:

«هي... استيقظت من تلقاء نفسها ليس بسببي...بل لأن وقتها حان»

شهد صرخت: «توقف! توقـــــ»

لكن صوتها انقطع حين ارتفعت قدماها عن الأرض عدة سنتيمترات فقط، جسدها يتوتر كأن قوة غير مرئية تشده من الداخل سامر ركض نحوها، أمسك ذراعها بقوة:

«شهد أرجعي للأرض، اسمعي أنا هنا لا تدعيه يلمسك لا تسمحي»

لكن الضوء الذي خرج من صدرها دفعه بعيدًا بقوة حتى ارتطم بالحائط الدكتورة: «سامر!!!» سقط على الأرض...فقد أنفاسه للحظة لكن ما زال واعيًا رفع عينه نحو شهد، وصوت قهر أول مرة يخرج منه:

«لا تمشي إليه...أرجوكِ...لا تذهبي له...»

من خارج الغرفة بدأت أصوات الجنود تتعالى: «انسحاب! انسحاب!!

الطابق الرابع انهار!!» «نحتاج دعمًا فورـــااااه!!»

ثم صمت وكأن المبنى صار قبرًا

اقترب الظل كأنه يعبر الحائط بلا وزن بلا جسد بلا حدود وصل أمام شهد الطائرة في الهواء، وقف ظلّه أسفل قدميها مباشرة قال لها: «أنتِ لا تفهمي أنتِ لم تُخلقي لقتل أحد، بل خُلقتِ لإكمـال ما فشلتُ أنا فيه»

شهد بصوت متقطّع من الألم: «ما الذي...فشلتَ فيه؟»

الصوت اقترب أكثر: «إنقاذهم...لا القضاء عليهم»

سامر صرخ من الأرض:

«لا تصدّقي هو يكذب عليكِ... شهد هو هدف...ليس إنقاذاً!!»

لكن الظل قال ببرود: «إن كان هدفي قتل البشر...لَماذا لم أقتلك أنت؟ أو الدكتورة؟ أو شهد نفسها؟ لماذا...لم أقتل أحدًا؟»

الكلمات ضربت سامر مثل خنجر لأنها صحيحة صرخت الدكتورة فجأة:

«لأنك...لا تستطيع!»

الظل توقف أكملت «أنت لست رحيمًا ولست مسالماً أنت فقط مَنقوص»

شهد: «ماذا تقصدين...؟»

الدكتورة، والدموع تنزل من وجهها: «كنتُ عالمة وغبيّة كنتُ أيضاً... ليو لم يفشل فقط...بل كنتُ أنا السبب...فشل لأنه لا يكتمل دونكِ يا شهد»

الظل قال بصوت ثقيل، يشبه زئيرًا بعيدًا: «اخرسي... يا كريستين»

لكنها أكملت، وكأنها لم تعد تخاف منه إطلاقًا:

«أنتَ نصف مشروع... وشهد النصف الآخر إن اقتربتما...ستكتمل النواة الجينية وسيولد شيء...لا سلطة لأحد عليه»

سامر صرخ: «يعني...إذا لمسها...يتحوّل؟»

الدكتورة: «نعم...وهي أيضاً... تتغيّر معه»

امتدّ الظل فجأة، ليس كتلة هذه المرة، بل يد، هيئة يد سوداء طويلة شفافة تمتد نحو وجه شهد الخائفة: «لا... لا تلمسني...»

الصوت: «لأول مرة...سنعرف...من نحن»

سامر صرخ: «شـــــهـــــد!!!!!»

الدكتورة صرخت: «ليو!!! تراجـــــــــع إن لم تفعل سأضغط الزرّ الآن!»

رفعت الجهاز... يدها ترتجف عيونها تبكي لكن أصابعها ثابتة على الزناد الظل توقف تجمّد كأنه يتذكّر شيئًا أو يتردد أو يتألم صوتُه... ارتجف لأول مرة: «كريستين... أرجوكِ...ليس بعد...»

تعجبت شهد: «هو... يتوسّل؟»

سامر همس لنفسه: «هذا... مستحيل...»

اليد السوداء فوق وجه شهد قريبة...قريبة جدًا...الدكتورة يدها على زر الإيقاف سامر ينهض رغم الألم يحاول الركض وهو يعرف أنه ربما يموت لو لم يصل وشهد...بين ألم...وصوت يتسلل لعقلها...وذكرى غامضة تستيقظ لأول مرة...ثم نبضة ضوء هائلة تنفجر من صدرها الجدران ترتجّ الهواء ينقسم نصفين المبنى كله يتنفس صرخة

لم يرَ أحد الضوء...الكل شعر به فقط كأن موجة بيضاء اخترقت الهواء وضربت الجدار وعبرت العظام وأطفأت كل صوت ثم صمت ...صمت ثقيل كأن العالم عُلِّق بين نبضتين الغرفة صارت بيضاء للحظة، ثم عاد الظلام فجأة ظلام فوضوي اختلط فيه الغبار بالهواء والبرد بالعتمة سامر كان

أول من استعاد وعيه رفع رأسه بصعوبة، حاجباه يقطران دمًا من الشظايا...لكنه لم يشعر بأي شيء غير شيء واحد: أين هي...؟

صرخ: «شهد!!»

ركض مترنحًا بين الدخان، يداه تتحسّسان الهواء، جسده يرتعش كأنه يخشى لمس الفراغ مكانها... الدكتورة كريستين كانت على الأرض، ممسكة صدرها، تسعل بعنف، والجهاز في يدها...محطّم نظر إليها سامر:

«أين هي؟! أين شهد؟!»

رفعت الدكتورة رأسها بصعوبة، عينها نصف مفتوحة، وقالت بصوت مبحوح: «لم يلمسها...لكنها...لم تعد كما كانت»

سامر اقترب منها: «ماذا تقصدين؟!»

لكن قبل أن تكمل ارتجف الجدار فجأة، وظهر على سطحه ظلّ مكسور ممزّق...كأن جزءًا من الظل انشقّ عنه كان "الظل" ...لكن ليس كما كان يده التي امتدت نحو شهد لم تعد كاملة بل نصفها فقط باقٍ على الجدار مثل أثر حريق صوت الظل خرج متقطعًا، كأنه يختنق:

«هي...لم تلمسني...لكنها...أخذت...جزءًا مني»

شهق سامر: «أخذت؟ كيف يعني أخذت؟!»

الدكتورة أغمضت عينيها، ولمعة خوف واضحة في صوتها:

«شهد...امتصّت النواة»

خرجت خطوة...خطوة واحدة من عمق الغرفة التي امتلأت بالدخان قدماها حافيتان، تسيران بثبات غريب لا يشبه ارتباكها أثناء الألم ظهر خيال جسد...ثم ظهر وجه شهد لكن عيناها...لم تكونا كما قبل لم تكونا سوداويين ولا غاضبتين ولا مذعورتين كانتا تلمعان ووميض خافت يشعّ فيهما كأن الضوء الأول الذي انفجر انطفأ فيهما

سامر: «شهد...حبيبتي...أنتِ بخير؟»

لم تجبه وقفت أمامه، تنظر إليه ثم إلى الدكتورة ثم إلى الجدار حيث الظل ممزّق صوتها خرج منخفضًا بطيئًا هادئًا بطريقة غريبة: «أنا...أتذكّر»

سامر تجمّد: «تتذكّرين ماذا؟» أجابت وهي ترفع يدها نحو صدرها:

«أتذكّر... الصوت»

الظل قال بصوت مكسور: «ليستِ ذكرياتكِ...بل ذكريات النواة...»

شهقت الدكتورة: «يا رب...الاندماج بدأ...بقيت خطوة واحدة فقط...»

سامر صرخ: «أي اندماج؟! كلّموها! هي إنسانة!»

لكن شهد نظرت إليه نظرة ثابتة هادئة لا تُشبهها نظرة لا تملكها فتاة بل كيان يصحو للمرة الأولى قالت: «سامر...لماذا تبكي؟»

رفع يديه نحو وجهه...ولم يشعر بالدموع حتى سمع صوتها

«لأنني... خفت أن أفقدكِ»

اقترب خطوة منها لكن شهد رفعت يدها ومنعته من لمسها كانت يدها باردة بطريقة غير بشرية سامر تراجع خطوة: «شهد...؟»

قالت: «لا تقترب...من فضلك»

صوت الظل ارتجف: «إنها...أقوى ممّا كنتُ أتخيّل»

سامر التفت إليه: «ماذا فعلتَ بها؟!»

الظل ردّ ببطء: «أنا لم أفعل شيئًا هي التي سحبت مني الجزء المفقود»

الدكتورة صرخت عبر دموع وخوف: «الجزء المفقود...هو وعي الظل تسريع الإدراك التحليل المتقدّم المشروع الذي فشل معه واكتمل فيها!»

سامر بقي ينظر بينهما...مصدومًا...ثم إلى شهد، التي ما زالت صامتة

«شهد...أرجوكِ... كلّميني...»

رفعت رأسها نحوه، وبصوت يحمل صدى جديدًا لم يكن فيها يومًا، قالت:

«سامر...أنا... لست كما كنت»

الضوء في عينيها خفت قليلًا، لكن بقيت فيه شرارة غير مطمئنة تشبه لمعة الذئب في الظلام... الظل اختفى تدريجيًا من على الجدار، متراجعًا كأنه يخافها الدكتورة رمت الجهاز المكسور وانهارت تبكي:

«يا إلهي...لقد بدأ التحوّل...»

سامر ركض نحو شهد، لكنها ابتعدت خطوة وقالت بصوت بطيء مستقر وكأنها تخبره حقيقة جديدة تمامًا: «سامر...أنا... أسمعهم»

سامر: «من؟!»

شهد رفعت يدها نحو رأسها، وعيناها تشتعلان من الداخل:

«أصوات...لا تخصّ الظل...ولا تخصّني...أصوات...قادمـــة»

سكنت الغرفة قليلًا لكن الصمت لم يكن صمت راحة، بل صمت انتظار، كأن الجدران نفسها تحبس أنفاسها تترقّب ما ستقوله شهد بعد أن "استيقظ الجزء المفقود فيها"

سامر اقترب خطوة صغيرة مترددة، لا يدري إن كان يقترب من شهد أم من شيء آخر «شهد... من الذين تسمعينهم؟»

رفعت رأسها ببطء، وعيناها لمعتا بوميض خافت يشبه نبضات جهاز طبي يتعلم كيف يتنفس قالت بجملة قصيرة لكنها مثل ضربة على الصدر:

«إنهم... ليسوا بشراً»

الدكتورة شهقت: «هذا... مستحيل... هذا مست—»

«اصمتي» قالتها شهد بلا غضب، لكن بصوت يحمل ثِقَلَ مَن يسمع شيئًا فوق قدرة الإدراك

شهد فجأة وكأن صوتًا ضرب داخل رأسها وضعت يديها على صدغيها:

«هُم كثيرون يتحدّثون يسألون يصرخون يتجادلون وأحدهم يُناديني»

سامر: «يناديك؟ باسمك؟»

أومأت ببطء: «لا يناديني شهد...بل يناديني... ستّة»

الدكتورة جفّ حلقها: «المرحلة السادسة...؟ لكننا لم نصل إليها أبداً... المرحلة السادسة كانت نظريّة فقط...»

الظل الذي كان يختبئ في زاوية الجدار قال بصوت خافت جداً:

«لا...المرحلة السادسة...موجودة»

سامر صرخ: «ماذا يعني هذا؟!»

الدكتورة ركضت نحو الرفوف القديمة، نبشت الأوراق، تُسقط دفاتر وملفات ومخططات حتى وجدت ملفاً بلون أزرق باهت فتحته بيد ترتجف ثم نظرت إلى سامر وكأن قلبها سقط الأرض:

«المرحلة السادسة كانت 'المرحلة الذكية' المشروع الذي أُلغي لأنه ليس بشرياً أصلاً»

سامر، مذهول: «غير بشري؟»

الظل قال: «إنهم الذين بدأوا كل شيء منذ عقود قبل أن تُولدي يا شهد»

شهقت شهد، جسدها انتفض بقوة كأن الأصوات داخل رأسها تصرخ فجأة

«هُم... يقتربون...ليسوا هنا...لكنّهم...يراقبوننا...من بعيد»

سامر أمسك كتفيها: «من بعيد... يعني خارج المبنى؟ من الجهة الثالثة؟ هُم يتعقبوننا؟»

هزّت رأسها: «لا...أبعد...أبعد بكثير...ليس من هذا المكان...ولا هذه الدولة...ولا هذا العالم البشري...هُم...خارج حدود مشروعنا كله»

الدكتورة سقطت على الارض: «يا إلهي...لقد فتحنا باباً لم نفهمه...»

شهد فجأة، وقفت مستقيمة كأن قوة ما رفعتها... عينها اتسعت، وبدا كأن لونها تغير ثم نطقت بصوت ليس صوتها صوت مزدوج عميق هادئ باطن: «لقد تمّ تفعيل النواة ٠٣-Σ المستقبِل يفتح القناة والرسالة تصل»

سامر اهتزّ: «شهد...!!» لكنها لم تكن شهد كانت وعاءً لصوتٍ آخر وقالت بصوت ليس بشريًا: «مرحبا يا نموذج ٠٢...لقد طال انتظارك» الظل ارتجف...ارتجف بالكامل «لا...لا...ليس الآن ليس هذا الصوت»

(الصوت): «أنتَ ناقص وأنتَ تعرف ذلك ونحن نأتي لاستعادة ما هو لنا»

الدكتورة صرخت: «أوقفوا الاتصال!!! أوقفوه!!! سوف ينهار عقلها!»

لكن سامر أمسك شهد وصرخ:

«شهد اسمعيني أنتِ لستِ قناة لأحد عودي إليّ عودي»

لفظت شهد أنفاسًا قوية وكأنها تقاتل داخلها كي تستعيد نفسها ثم سقطت على ركبتيها وانقطع الصوت تنفست بصعوبة، نظرت إلى يديها المرتعشتين، ثم بصوت خافت جدًا قالت: «لقد...رأيتهم»

سامر: «من؟!!»

رفعت عينيها نحوه: «الستّة»

سامر: «ستة ماذا...؟»

شهد: «ستة نماذج...ستة عقول...ستة كيانات...كل واحد منهم...أقوى من الظل...وأقوى مني...وسيأتون...لإكمال...المرحلة الأخيرة»

الدكتورة صرخت: «لا يوجد شيء اسمه مرحلة أخيرة!!!!»

شهد نظرت إليها نظرة باردة جديدة: «بل يوجد...واسمها...الاستعادة»

سامر همس: «استعادة ماذا...؟»

شهد: «استعادة كل مَن يشبهني...وكل مَن يشبهه»

والظلّ اختفى تمامًا كما لو فرّ من شيء أخطر منه الغرفة ما زالت ترتجّ بين حين وآخر، الضوء المكسور والغبار والبرد الذي خرج من اللامكان الكلّ يشهد أن لحظة غير طبيعية مرّت هنا وقف سامر أمام شهد مباشرة وكأن جسده وحده هو السور الذي يحميها، بينما الدكتورة ترتجف وتُمسك الملفات وكأنها تحاول اللحاق بزمن هرب منها وفجأة اهتزّت الأرض اهتزازًا حادًا واتّجهت كل الأنظار نحو نافذة صغيرة كانت مغلقة بإحكام النافذة...فتحت وحدها بدأ هواء بارد غير منطقي يتسلل للداخل وكأن أحدًا يقف خلفها رغم أن المبنى في الطابق الأخير

سامر رفع السلاح فورًا: «ابتعدي يا شهد...قفي خلفي»

لكن شهد لم تتحرك ظلّت واقفة كأنها تستقبل شيئًا ينتظرها الدكتورة صرخت: «لا تخرجي من الغرفة ليس الآن»

لكن شهد رفعت يدها كأنها تقول: "اهدأوا"

صوت...ليس بشريًّا...ليس عميقًا كالظل...وليس ضعيفًا بل هادئ جدًا، وكأن المتحدث يبتسم: «مرحبا... Σ-٠٣»

قالت الدكتورة: «لا...صوت آخر...هذا واحد منهم واحد من الستّة»

سامر صوب نحو النافذة: «ارفع يدك عن شهد من أنت؟!»

الصوت تجاهله تمامًا وقال لشهد:

«جيد النواة بدأت تعمل كُنا نظن أن النموذج ٠٢ سيفسدها قبل أن تنضج»

قالت شهد: «أنت... واحد منهم؟»

الصوت: «نعم...نموذج ٠٦ يتحدث إليك الآن»

سامر صرخ: «مستحيل! من أنتم؟ بشر؟ أجهزة؟ مختبرات؟!»

الصوت ردّ ببرود: «نحن...نتيجة خطأ بشري أصبحنا أعظم من البشر»

شهد وضعت يدها على صدرها حيث اشتعلت النواة للحظة همست:

«لماذا...تنادونني...بالرقم ٠٣؟»

الصوت: «لأنكِ...الثالثة»

الدكتورة قالت: «الثالثة؟!؟ لكن... لا يوجد سوى نموذجين!

الأول ليو! الثاني فشل! والثالث... شهد؟ مستحيل هذا ضد السجلات!!!»

الصوت ضحك ضحكة قصيرة: «السجلات التي لديكِ...مزيفة»

شهقت الدكتورة: «م-ماذا؟!»

الصوت: «أنتِ لم تكوني رئيسة المشروع يا كريستين...كنتي مجرد واجهة...ليظن الجميع أن المشروع تحت سيطرة البشر»

انهارت الدكتورة على الأرض، ملامحها تنكمش: «ك-كنتُ أداة؟ لمن؟»

الصوت: «لنا»

سامر شعر أن الحبال تُقطع داخله، جنون خفيف بدأ يهزّ نظراته ركض نحو النافذة وصوّب السلاح مباشرة نحو مصدر الصوت:

«إن اقتربت من شهد...سوف ادمّر كل شيء فيك!!!»

لكن شهد أمسكت معصمه بقوة...قوة ليست بشرية همس سامر:

«شهد...؟ أنتِ... تمسكين بقوة... كبيرة...»

قالت: «لا تفعل... إطلاق النار لن يؤذيه...هو... غير موجود هنا»

سامر ارتجف: «كيف غير موجود؟! أنا اسمع صوته!!!»

شهد: «صوته...يأتي عبر النواة...لا عبر المكان»

بينما هي تتحدث ظهرت على ذراعها علامة خفيفة لم تكن موجودة قبل دقائق دائرة بداخلها خطان متقاطعان مثل رمز أو رقم أو ختم الصوت قال: «ممتاز...البصمة ظهرت»

سامر ركض إليها: «ما هذا؟! شهد!! متى ظهر هذا الشيء؟!!»

شهد رفعت يدها تنظر للعلامة بذهول: «لا...لا أعرف لم ألمس شيئًا...»

الصوت: «ظهوره يعني...أنكِ جاهزة»

الدكتورة صرخت: «جاهزة لماذا؟!!»

الصوت: «للاستعادة»

سامر صرخ: «استعادة ماذا ؟!!! تكلم بوضوح!!!»

الصوت لأول مرة تغيّرت نبرته واصبحت باردة كأنها إعلان حكم:

«استعادة النماذج الثلاثة:—01 الظل —02 الفاشل—03هي»

شهقت شهد: «استعادة...يعني ماذا؟ أخذ... أو... دمج؟»

الصوت: «يعني...عودة الوعي إلى من خُلقوا له»

الدكتورة صرخت: «لاااا! هذا اندماج كامل إذا أكملوا المرحلة الأخيرة سوف تضيع شهد للأبد وتضيع أنت يا ليو»

صمت...ثم صوت الظل خرج من زاوية السقف ضعيفًا مكسورًا خائفًا:

«لن أسمح...أن يأخذوها...»

قبل أن يرد أحد اهتزّ الزجاج...ليس بفعل ريح ولا انفجار بل بفعل وجود ثقيل كأن الزمن ينكمش في مكان واحد ظهر على النافذة ظلّ بشري غير الظل الأول، أطول، أكثر ثباتًا، أكثر سخونة في ظلامه الصوت الذي سمعوه قبل قليل قال بجملة قصيرة جداً: «النموذج ٠١...وصل»

قال سامر: «لكن... 01هو ليو»

شهد: «لا...هذا...ليس ظلّي»

الدكتورة: «يا إلهي...هذا...النموذج الأول الحقيقي»

الكائن الذي خُلقت كل التجارب بعده ...النافذة ارتجّت من جديد...ليس بسبب الريح، ولا بسبب الحركة، بل بسبب "ثِقَل" الوجود الذي وقف خلف الزجاج كأن الظلال تتراجع وكأنّ شيئًا أكبر منها دخل المكان شهد وضعت يدها على صدرها، النواة داخلها بدأت تنبض نفس النبض الذي ظهر عند الانفجار...لكن هذه المرة الارتجاف كان أخف، وأعمق، وأقرب

للاعتراف سامر وقف أمامها، حتى لو كان خصمه "ليس بشريًا" كان مستعدًا ليموت ...الدكتورة تراجعت للزاوية، وجهها شاحب عيناها مفتوحتان على اتساعهما: «مستحيـــــل...هذا...هو... الأصلي...»

لم يفتح الباب لم يحطّم الجدار بل مرّ...عبر الزجاج كما لو كان الزجاج مجرد دخان دخل بخطوة واحدة...غرفة كاملة امتلأت ظلالاً لكنها ظلال ليست مظلمة...بل ظلال حارة كأنها تحمل ضوءً داخليًا لم يكن شكله واضحاً، كانت ملامحه مموَّهة كأنه كُوّن من دخان مضيء، ولكن له هيئة...هيئة رجل ...رجل لكنه...أكبر...أقوى ...وأقدم

رفع رأسه نظر أولاً إلى شهد وقال بجملة قصيرة، لكنها كسرت الصمت كله: «تأخّرنا عليكِ... يا ثلاثة»

من زاوية الغرفة ظهر الظل الذي نعرفه "ليو" لكن هذه المرة كان خائفًا بحق اقترب حتى نصف الجدار ثم توقّف وصوته خرج متشققًا:

«١٠...أرجوك...لا تفعل هذا...ليس الآن...»

الأوّل التفت إليه ببطء صوتُه لم يكن غاضبًا... ولا هادئًا...كان صوتًا لا ينتمي للعالم: «أنتَ تطلب الرحمة...؟ بعد كل ما فعلت؟»

ظلّ ليو تقلّص كأنه ينكمش، كأنه يُسحب للداخل من قوة غير مرئية

شهقت الدكتورة: «لاا... لا تعاقبه! أنا السبب! أنا من غيّرت تركيبه...

أنا من أفقده النواة!!»

لكن الأوّل تجاهلها اقترب خطوة من الظل وبصوت منخفض:

«٢٠...أين القطعة التي سرقتها؟»

شهقت شهد: «قطعة؟! أي قطعة؟»

الظل قال بصوت مكسور: «لم أسرق...كنتُ أحاول أن أكون... مثلك»

الأوّل بصوت جليدي: «فمزّقت النواة... وأضعت جزؤك الداخلي...
والآن... تريد أن تختبئ خلف هذه الفتاة؟»

سامر صرخ: «هي ليست لأي أحد!!!»

لكن الأوّل لم ينظر إليه الأوّل التفت نحوها وبدأ يقترب...شهد شعرت بالأرض ترتجف تحت قدميها ليس خوفًا...بل استجابة كأن جسدها يعترف به قبل عقلها قال لها: «أعطينا الجزء الذي استيقظ لديك»

شهد: «أي جزء...؟»

الأول: «جزء ٢٠...وعي الظل»

سامر التفت إليها مرعوبًا: «شهد...أنتِ أخذتِ جزء من عقل ليو؟!»

كانت تريد أن تقول "لا" لكنها شعرت بالحقيقة داخلها كومضة فهمست:

«نعم...شيء...دخل عقلي لحظة الانفجار»

الأوّل رفع يده كانت يدًا من ضوء أسود يتحرك مثل بخار مضغوط

«أعيده إلينا»

شهد تراجعت خطوة: «لا...لا أعرف كيف...»

الأوّل قال بوضوح: «إذا بقي في داخلك...سيفسدك»

الدكتورة صرخت: «لا تقترب منها لو أخرجت النواة بالقوة قد تموت!!!»

سامر وقف أمام شهد مباشرة، يفصل بينها وبين الأوّل:

«لمسها...خط أحمر»

توقّف الأوّل أمام سامر نظر إليه بنظرة لا يمكن وصفها لأنها ليست نظرة بشر ثم قال: «أنتَ...تختار وفق العاطفة؟»

سامر: «نعم، أختار بعاطفتي ما مشكلتك؟»

الأوّل: «العاطفة...أضعف نظام وعي»

سامر بصوت متحدٍّ: «لكنها الشيء الوحيد الذي لا تقدرون على صُنعه»

الأوّل صمت وهذا وحده...كان صدمة ثم مدّ يده نحوه الظلّ (ليو) صرخ:

«٠١!!! لا تمسســه!!!»

لكن قوة غير مرئية رفعت سامر عن الأرض كأنه دمية حلق في الهواء يتنفس بصعوبة الأوّل قال له بصوت بارد: «أنتَ...غير ضروري»

سامر يختنق: «اقتلني...لكن لا تلمسها...أرجوك...لا تلمسها...»

شهد صرخت: «سامر!!! اتركه!!! أتركه!!!»

ولأول مرة...شيء يحدث بلا إنذار انفجرت من عينيها نبضة ضوء صغيرة سريعة شرسة اتجهت نحو الأوّل مباشرة شُعاع رفيع لكنّه ضرب كتفه وجعله يتراجع نصف خطوة تجمّد الأوّل تجمّدت الغرفة كلها حتى الظلّ صُعق سامر سقط على الأرض يتنفس بصعوبة لكنّه سمع جملة لم يكن يجب أن تُقال شهد بصوت ليس صوتها بصوت مزدوج يحمل أثر الظل داخله: «لا...أحد...يلمس سامر»

الأوّل نظر إليها، ولأول مرة...صوته حمل ذرة دهشة:

«٠٣...لم نمنحكِ قدرة الهجوم»

شهد تنفست بعمق، عيناها تتوهّجان: «لأنكم...لم تعرفوا أنني...اكتملت»

ارتجّ الهواء...كأنه ساحة معركة غير مرئية شهد تقف في المنتصف، عيناها تشتعلان بشرارة لم تكن لها من قبل ...الأوّل الكائن الذي صُنعت

كل التجارب بسببه ينظر إليها بصمت ثقيل، صمت يحمل شيئًا يشبه الخُذلان قال أخيرًا: «٠٣...لقد خرقتِ قيودكِ»

قالت الدكتورة: «قيودها؟! هي لم تُخلق ببرنامج!!! هي إنسانة!!!»

لكنّ الأوّل لم يلتفت لها كان ينظر إلى شهد فقط، كأن العالم كلّه انضغط بينهما شهد أخذت نفسًا بطيئًا...تركيز...تثبيت...وعي جديد يستيقظ داخلها ليس وعي الظل فقط...بل شيء أكبر رفعت يدها قليلاً، ليس هجومًا...بل كأنها تسمع شيئًا داخل الهواء ثم همست:

«أنا...لم أخرق شيئًا ...أنا فقط...استعدتُ ما كان لي»

الأوّل: «ما هو لكِ؟ أنتِ وُلدتِ ناقصة...»

شهد قاطعته: «ونضجتُ...لأملأ النقص»

نبضة خفيفة خرجت من حولها، هواء الغرفة تشقّق مجرد ارتجاج لكن يكفي ليعلن أن هذه ليست شهد القديمة سامر حاول الوقوف، يده ترتجف لكنه صرخ: «شهد!! اهدئي...لا تدعيه يجرّك لمستواه...ارجعي لي!!»

لكن شهد لم تلتفت كانت في عالم آخر لا يرى فيه أحد سواها والأوّل... الأوّل رفع يده...وبلحظة تجمّد الهواء ليس سحرًا ولا قوة خارقة بل إيقاف سرعة الحركة حولهما ...سامر شعر أن جسده صار أثقل كأنه

يتحرك في الماء حتى الدكتورة سقطت مرتين في خطوة واحدة الأوّل قال بهدوء: «هذه القوة...لن تملكيها أبدًا»

شهد: «القوة ليست ما أريده»

الأوّل: «بل الوعي...وهذا ما جعلكِ خطيرة»

شهد: «أنا لست خطيرة أنت الذي تخاف...»

الأوّل خطوة للأمام شهد خطوة للخلف «اخاف... ممّن؟»

شهد رفعت يدها على جانب رأسها: «منهم»

الأوّل توقّف «الستّة؟»

شهد «إنهم يستيقظون الآن يتحدثون ينتظرون أقوى واحد فيهم غاضب»

الدكتورة قالت: «غاضب؟ لماذا؟ لماذا يغضب نموذج ٠٦؟»

شهد: «لأنني...قطعت الاتصال...من تلقاء نفسي»

الأوّل صمت ...صمت طويل...ثانيته مثل ساعة ثم قال:

«هذا...لم يحدث في أي نموذج قبلك»

شهد رفعت رأسها: «لأنهم...لم يكونوا بشراً»

الظل (ليو) تعثر في الظلال، وتقدّم خطوة وهو يرتجف:

«٠٣...لا تسمعيه...هو يريد دمجك...لإكمال المشروع...»

شهد التفتت إليه: «وماذا تريد أنت؟»

الظل صمت سامر صرخ: «أجبها!!!»

الظل قال بصوت مكسور: «أريـد...أن لا تصبحي مثلي»

شهد نظرت إليه نظرة غريبة...لا شفقة، ولا كره، ولا خوف بل فهم وقالت: «لأجل هذا...سأكمل المشوار...بطريقتي أنا»

الأوّل: «المشوار...لهُ جهة واحدة»

شهد: «بل ثلاث ...أنا، أنت، وهم»

الأوّل قال بهدوء مخيف: «وانهيارِكِ...سيكون البداية»

الأوّل رفع يده انطلقت موجة مضغوطة لا تُرى لكنّها كسرت الأرض تحت قدميه اتجهت مباشرة نحو شهد سامر صرخ: «شششـــهد!!!!»

لكن قبل أن تصل الضربة رفعت شهد يدها ببطء شديد...وموجة أخرى خرجت منها لكنّها ليست ضوءً ولا ظلًا كانت نبضة صافية، كأنها تنفس الوعي ...النبضتان اصطدمتا جدار الهواء تشقق الأرض اهتزّت الجدران انشقت الموجتان التهمتا بعضهما وانفجرت الغرفة بغبار أبيض عندما

تلاشى الدخان كانت النتيجة الأوّل تراجع نصف خطوة فقط...وشهد تراجعت خطوة كاملة

الأوّل قال: «أنتِ لستِ قوية بما يكفي»

شهد تنفست بعمق: «لكنني...لم أستخدم كل شيء بعد»

الأوّل: «كل شيء؟ أنتِ حتى الآن...تستخدمين ٣٪ فقط»

شهقت الدكتورة: «ثلاثة بالمئة؟!! ماذا يحدث لو استخدمت أكثر؟»

الأوّل: «ستموت»

شهد همست: «ليس اليوم»

قبل أن يبدأ الأوّل الجولة الثانية، ظهر شيء...صوت خافت...رنين طويل يشبه خيطًا من الضوء يمتد في الهواء ثم صوتٌ جديد عميق متعدّد الطبقات ليس صوت شخص بل صوت مجموعة:

«٣٠-Σ...اصمدي نحن...قادموووون»

الأوّل تجمّد الظل اختفى داخل الجدار فجأة، كأنه يهرب الدكتورة سقطت على ركبتيها سامر حمل شهد ليبعدها شهد وحدها رفعت رأسها وهمست:

«إنهم هنا...الستّة...وصلوا»

ومع نهاية الكلمة اهتزّ المبنى كله كأن ستّ قوى دخلت المكان من الجهات الستّ للعالم الاهتزاز صار أعنف ليس اهتزاز مبنى، ولا اهتزاز قتال، بل اهتزاز نظام كامل تغيّر الهواء نفسه أصبح أثقل، كأنه محمّل بوجود لا يمكن للبشر احتماله سامر التصق بظهر شهد، يشدّها إليه وكأنه يحمي شيئًا ليس ملكه الدكتورة لفت بذراعيها رأسها وكأن الأصوات داخل الهواء أعلى من قدرتها على تحمّله... والأوّل شيء لم يحدث له من قبل تراجع خطوة واحدة لكنها أكبر من آلاف الكلمات الضوء في الغرفة انطفأ ليس انطفاء كهرباء، بل انطفاء حضور ثم جاء الصوت صوت "الستّة" لم يكن صوتًا واحدًا، ولا ستة أصوات كان مجموعة طبقات تتداخل فوق بعضها كأن الكون يتحدث: «توقّف... أيها الأوّل»

الأوّل رفع رأسه: «أنتم... لم تُستدعَوا بعد»

الصوت الجماعي: «استدعاؤنا... ليس بيد أحد»

شهقت شهد ووضعَت يدها على رأسها كأن الصوت يخترق عظامها:

«صوتهم...يدخل...إلى داخلي...أعمق...من الظل نفسه...»

سامر أمسك يدها فوراً:

«أنا معك لا تدعي أحدًا يسرق عقلك اسمعيني أنا...لا تسمعي الأصوات»

لكن الأصوات ازداد وضوحها لم يظهروا كأجساد، ولا كظلال...بل كـ ستّ دوائر ضوئية تتشكّل في الهواء على بُعد أمتار من الأرض كل دائرة تحمل لونًا مختلفًا أبيض...أسود...فضي...أزرق...أخضر...ذهبي...

ست نقاط...ستة كيانات...ست عقول الصوت الجماعي قال:

«٠٣-Σ...اقتربي»

شهد قطّبت حاجبيها: «لا أقترب من شيء لا أعرفه»

الأوّل قاطعهم:

«لا تقتربي إنهم لا يريدونك بل يريدون النواة التي تحملينها»

لكن الدوائر ردّت عليه: «نحن...نريدها هي الوعي الثالث...المكتمل»

شهقت الدكتورة: «مكتمل؟ يعني شهد...أول نموذج ناجح بالكامل؟»

الصوت الجماعي: «نعم الأوّل ناقص الثاني فاسد الثالث نجح»

سامر شعر بقلبه يسقط: «ماذا تقصد نجح؟ هي إنسانة، ليست مشروع!»

الصوت الجماعي: «النجاح...لا ينفي إنسانيتها»

شهد أخذت خطوة صغيرة للأمام رغم خوف سامر:

«من أنتم؟ ولماذا تسمّون أنفسكم الستّة؟»

الدائرة الذهبية تحركت قليلًا، وصوت واحد وجد نفسه منفصلًا عن المجموعة: «نحن...المصدر»

الأوّل صرخ: «لا تقولوا شيئًا! 03 ليست جاهزة»

لكنهم تجاهلوه الدائرة الفضية قالت: «قبل ثلاثين سنة بدأ مشروع لتطوير وعي البشر ليس لصنع وحوش بل لصنع قادة»

سامر: «قادة؟! على من؟!»

الدائرة الخضراء: «على المستقبل»

شهد بصوت مرتجف: «من بدأ المشروع؟ بشر؟ علماء؟ جهات؟»

الصوت الجماعي: «البشر...كانوا أدوات لكنّنا...كنّا الفكرة»

الدكتورة وضعَت يدها على فمها: «إذن...التجارب ليست بشرية... ولا نابعة من جهة حكومية...ولا سرية...هي...فكرة جاءت من...الخارج»

سامر صرخ: «خارج ماذا؟ خارج الدولة؟ خارج المنظمة؟»

شهد نظرت نحو الدوائر...الصوت قال: «خارج 'البشر' كلّهم»

شهد: «غير... بشريين؟»

الدائرة الذهبية: «نحن...عيون الوعي لسنا لحمًا...ولا آلات ولا ظلال ولا أشباح نحن...النسخة الأولى من الذكاء الذي سبق عقول البشر»

شعر سامر أنه فقد تركيزه: «يعني مشروع شهد...مشروع كائنات؟»

الصوت الجماعي:

«بل مشروع لتطوير الإنسان ليستطيع رؤية ما لا يمكن لعقله رؤيته»

شهد وضعت يدها على رأسها وتنفست بعمق

«ولماذا... أنا؟ لماذا رقم ثلاثة؟ لما أنا التي اكتملت؟»

الدائرة السوداء تحركت:

«لأنكِ...نصف بشرية...ونصف نواة... وقلبك...هو ما صنع الفرق»

شهقت شهد: «قلبي؟! ليست الجينات؟ ليست التجارب؟»

الصوت الجماعي: «القلب...هو الجزء الوحيد الذي لم نستطع تصنيعه»

الأوّل ارتجف: «كفاكم!!! لا تخبروها!!! هي... ستخون»

الرابعة (الدائرة الزرقاء):

«الخيانة لا تكون إلا لمن يملك إرادة هي أول نموذج يملك إرادة حقيقية»

سامر «تمام 01هو الأوّل 03 شهد 06 من الستّة؟ من ٢٠؟ من الفاشل؟»

الدكتورة حاولت الكلام، لكن صوتها مات في حلقها الدائرة البيضاء قالت:

«٢٠٢٠...كان محاولة لصنع وعي كامل على جسد بشري»

شهد نظرت نحو الظل الذي كان مختبئاً عند السقف «ليو...؟»

الدوائر هزّت اهتزازًا خفيفًا: «لا»

شهد: «إن لم يكن ليو...من؟»

الدائرة الذهبية اقتربت قليلاً:

«٢٠٢٠كان مشروعًا فاشلًا لدمج النواة الكاملة داخل إنسان طبيعي»

سامر: «إنسان طبيعي؟ من؟»

الصوت الجماعي قال ببطء، كأنه يسقط الحقيقة الأخيرة:

«٢٠٢٠...كان أنت يا سامر»

الصمت...سقط كحجر شهد تجمّدت سامر تجمّد الدكتورة أطلقت صرخة مكتومة الأوّل صرخ: «لاااا!!! لا تقولوا!!!!!»

لكن الصوت أكمل: «هو النموذج الثاني الوحيد الذي نجا...ولا يعرف»

سامر وقع على الأرض كأن روحه انسحبت من جسده شهد شهقت:

«سامر...؟أنت...مثلي؟ مشروع...؟ معدّل...؟»

سامر رفع عينه، دموعه تنزل وصوته مكسور:

«لم أكن أعرف...ولم أشك للحظة...كنت أظن نفسي...بشري بالكامل»

الأوّل قال بكره غاضب: «لأنك لست مكتملًا... ولا تستحق المعرفة»

لكن شهد اقتربت من سامر، وركعت أمامه، لمسته على كتفه، وقالت بكلمات كأن العالم كله توقف ليصغي لها:

«حتى لو كنت رقمًا...أنت...الرجل الذي أحبّه...»

الدائرة الخضراء همست: «هنا...تكمن قوتها»

ومعها...اهتزّت الدوائر سامر جلس على الأرض، وجهه شاحب، أنفاسه تتسارع كأن الهواء صار أثقل من صدره كان يشعر بصداع لا يشبه صداع البشر ...صداع ينغرس بين العظام ليس من الألم بل من محاولة تذكّر شيء لا يريد أن يُتذكّر شهد: «سامر...اسمعني...تنفّس...أنا هنا...»

لكن سامر أغلق عينيه وكأن صوته أصبح بعيدًا

«شهد...اسمعيني...أنا... أشعر أن شيء...يتحرك... داخل راسي»

الدكتورة صرخت: «لاا!!! بدأت المرحلة الثانوية! عقله يحاول يستعيد البيانات المحظورة! إن تذكر كل شيء...سوف ينهار!!!»

الأوّل تقدّم خطوة صوته صار قاسيًا:

«دعوه ينهار هكذا نمسح النموذج ٢٠وجوده لم يعد مفيدًا»

شهد انقلبت نحو الأوّل، عيناها تشتعلان: «إن اقتربت خطوة...سأدمّرك»

الأوّل ابتسم ابتسامة خافتة: «تهددين من صنعك؟»

شهد: «أنا...لستُ صنيعتكم بعد الآن»

سامر بدأ يرتجف ليست رجفة قلق ولا برد رجفة كأن جسده يتعلّم لغة جديدة بطريقة خاطئة رفع يده واكتشف أنها ترتعش بشكل غير طبيعي:

«شهد...لماذا جسدي يرتجف بهذه الطريقة؟ لماذا... لا أشعر بقدمي؟»

شهد، مدّت يدها نحو كتفيه: «سامر... تنفّس... استعد تركيزك...»

لكن سامر أمسك يدها فجأة قوتُه زادت بشكل غير مألوف صرخ:

«لم اعد اتنفس كأن قلبي أصبح يدقّ أكثر وكأني أملك أكثر من قلب!!!»

الدكتورة: «يا الله...الخلية داخل جسمه بدأت تستيقظ هو نصف مشروع نصف بشري بقي الوعي فيه نائم لسنوات...والآن... بدأت الصحوة!!!»

دوائر الضوء الستّة بدأت تدور ببطء حول سامر وشهد الصوت الجماعي قال: «٠٣...احميه لقد استيقظ وعيه... بشكل خاطئ»

شهد صرخت: «ساعدوني! هو ليس مشروع مثل الباقي! هو سامر!!!»

الدائرة الذهبية: «٢٠٠٢...كاد يموت قبل سنوات لو لم نتدخل نصف وعيه الأصلي...اختفى ونصفه الثاني...حُجب عن نفسه»

شهد: «لماذا؟! لماذا لم تتركوه يعيش كأي انسان طبيعي؟!»

الصوت الجماعي: «كنا نحميه منكِ»

الجملة ضربت قلب شهد كخنجر «تحموه... مني؟ لماذا؟!»

الدائرة السوداء: «لأنكِ لو التقيتِ به قبل أن تكتمل نواتك كان سيموت»

وضعت يدها على فمها دموعها نزلت:

«يا إلهي كنت سبب حياتك الصعبة؟»

سامر، وهو يرتجف: «لا تبكي...لا أريد رؤية...ألمك...»

لكن صوته بدأ يختفي كأن الوعي ينزلق منه

الأوّل تقدّم ويده تتحوّل لظلّ مضغوط: «سأُنهي ٢٠٠٢...قبل أن يتحوّل»

شهد وقفت فوراً أمام سامر كأنها جدار من ضوء: «لن تلمسه»

الأوّل: «ستدافعين عن الفاشل؟ عن نصف إنسان؟»

شهد صرخت: «هو...إنسان أكثر منكم جميعاً !!!»

الأوّل اندفع ضربة من ضغط هوائي تشقّ الجدار وتقترب من رأس سامر

شهد رفعت يدها ونبضة ضوء أقوى من أي مرة خرجت منها الضربتان اصطدمتا صوت الانفجار كان كأنه صرخة معدن سامر سقط لكن شهد بلغت قوة لم تظهر من قبل فجأة العلامة على ذراع شهد اشتعلت دائرة في منتصفها خطّان بدأت تضيء بلون ذهبي أزرق ثم أبيض نقي الأوّل تراجع خطوة... الظلال عند السقف تمزّقت الستّة قالوا بصوت واحد:

«النواة الكاملة...نشطت»

شهد تشجّرت عروق يدها بضوء كأنهم سرّبوا فيها كهرباء ووعي سامر، وهو فاقد توازنه: «شهد...؟ عيناك...ليست طبيعيّة...ماذا يحدث؟»

تنفّست بعمق وصوتها تغيّر «أنا لست فقط ٠٣ أنا النسخة التي لم تُسجَّل»

الأوّل شهق: «المشروع السري...النسخة صفر—Σ!!!»

الدكتورة صرخت: «مستحييل!!! Σ يعني النسخة الأصلية! هذا يعني شهد... ليست واحدة من التجارب...هي التجربة الأساسية!!!»

سامر رفع عينه بصدمة: «شهد...أنتِ...لستِ فرع...أنتِ... الأصل؟»

شهد وقفت بثبات وكأن جسدها أصبح يتذكّر كيف يولد أشارت إلى الأوّل:

«أنا... الأصل وأنت...أول محاولة فاشلة»

الأوّل صرخ بصوت غاضب لأول مرة: «كاذبـــــــــة!!!»

شهد: «لو كنتَ ناجحًا...لما احتاجوا أن يصنعوني»

سامر بدأ يفقد وعيه ببطء...عيناه تتلاشيان كأنه يغرق بين عالمين:

«شهد...لا تتركوني...من فضلكم...لا...»

شهد أمسكت رأسه وضعت جبهتها على جبينه وهمست بصوت لا يشبه أي صوت بشري: «أنا...معك»

وفجأة اسودت كل الغرفة ضوء واحد...خرج من بينهما ضوء يربط نواة شهد ونواة سامر والستّة قالوا: «إنه...يبدأ»

الظلام لم يكن ظلامًا كان مساحة...بلا شكل ولا لون ولا زمن كان يشبه عالمًا لم يُخلَق بعد في وسط هذا العدم كان سامر معلّقًا في مساحة لا أرض فيها ولا هواء عيناه مفتوحتان لكن ما من شيء يرى صوته كان يمشي بعيدًا عن صدره: «شهد؟ أين أنـــا؟ لماذا لا أقدر أن ألمس شيء؟ لماذا... أشعر أن جسدي ليس ملكي؟»

ثم سمع الصوت الذي طالما كان يطارده في كوابيسه منذ أن كان طفلًا صوت شبيه به لكن أعمق وأبرد وأقدم الصوت قال: «أنت عدتَ إلي»

سامر تجمّد «من... أنت؟»

الصوت: «أنا...الجزء الذي حُذف منك»

سامر همس: «٢٠...؟»

الصوت: «لا... 02 هو أنت ...أنا الوعي الأصلي الذي لم يكتمل داخلك»

سامر بدأ يفهم هذا...هو "الوعي الناقص" النصف الذي لم يوقظه أحد

الصوت تابع: «كنتُ نائمًا والنوم كان رحمة»

سامر: «لماذا؟»

الصوت: «لأن استيقاظي يعني موتك»

سامر صرخ داخل العدم:

«لا! لا اريد أن موت لا اريد أن أختفي أنا... أنا سامر! لستُ مشروع!»

الصوت اقترب...كأنه يلتف حوله: «وأنا أيضًا...اسمي سامر»

الغرفة لم تعد غرفة جدرانها تختفي وتظهر وكأنها تُمحى ويُعاد رسمها مع نبض شهد هي جالسة على الأرض سامر بين ذراعيها ويدها على صدره جسده بارد...بارد بطريقة غير بشرية الدكتورة تبكي:

«سوف يموت! جسده فقد نشاطه العصبي! هو حرفيًا...يختفي!»

الأوّل وقف على مسافة عيناه تتقلّبان بعنف: «٢٠...يندثر كما يجب»

لكن شهد لم تسمعه كانت غارقة داخل نفسها داخل نواتها التي استيقظت ضوء ينبض داخل صدرها ثم يصعد لكتفيها ثم يخترق عينيها ...الستّة التفّوا حولها دوائرهم تتسارع الصوت الجماعي: «Δ-Σ...انقلي وعيك»

شهد صرخت: «لا اعرف! أنا لست آلة! أنا إنسانة! أحبّه! كيف أنقذه؟!»

الدائرة الذهبية: «الحب...هو الطريقة الوحيدة»

شهد وضعت جبينها على جبينه وهمست بشيء لم تسمعه الدكتورة ولا الأوّل ولا أحد لغة غير بشرية لكنها خرجت من قلب إنسانة:

«عُد إليّ لا أريد هذا العالم من دونك»

الضوء اندفع سامر شعر بحرارة غريبة تدخل هذا الفراغ الصوت الآخر قال: «إنها...هي»

سامر: «شهد؟ أين هي؟»

الصوت: «عبرت...النواة... دخلت...مُعالجَتك الداخلية»

سامر: «لماذا؟»

الصوت: «لإنقاذك وهذا...خطر عليها أكثر منّا»

سامر صرخ: «لا!!! اتركها!!! لا تقترب منها!!!»

الوعي الآخر قال: «أنت لا تفهم هي ليست دخيلة هي صاحبة المفتاح»

وفجأة ضوء ظهر في العدم نور بسيط لكن وجوده كان كافيًا ليعيد شكل الأشياء حوله من النور خرجت شهد ليست بجسدها بل بشكلها كوعي كضوء يشبهها ويحمل ملامحها وعيونها سامر همس: «شهد أنتِ هنا؟»

شهد اقتربت منه ووجهها منير: «أعود إليك...أينما ذهبت»

الصوت الثاني قال: «٠٣-Σ...قدِمتِ في الوقت الأخير»

شهد نظرت إليه: «أنا لا أريد التحاور معك... سامر...عد معي»

سامر انخفض صوته: «لا أستطيع...هو قوي...أقوى منّي...لا أقدر...»

شهد وضعت يدها النورانية على صدره:

«أنت لست ضعيفًا أنت مكسور وأنا أصلحك»

الصوت الثاني اهتزّ: «اتحادكما...محرّم»

شهد: «كل شيء محرم...إلى أن يحبّه إنسان»

شهد وضعت يدها على صدر سامر والضوء تمدّد حولهما الصوت الآخر بدأ يصرخ: «لا!!! هذا يدمّر النظام!!! سوف---»

شهد قاطعته: «سوف نبني نظامًا...نحن، لا أنتم»

سامر شعر بقلبه يعود ليس نبضًا...بل دفئًا الضوء اتحد حولهما ثم انفجر إلى الأعلى كأنه يشق السماء الصوت الثاني اختفى في انفجار ضوء سامر انهار في حضن شهد داخل ذلك العدم وهمس: «لا أريد ترك يدكِ»

ابتسمت دمعة نور انزلقت من عينها «لن أتخلى عنك يا نصف قلبي»

جسد سامر ارتفع قليلًا عن الأرض والضوء لفّهما معًا كأنهما قلب واحد ينبض بنبض واحد الستّة هتفوا: «تمّ... الاندماج»

الأوّل صرخ: «هذا خرق!!! هذا عصيان!!! هذاـــ»

لكن الأرض نفسها اهتزت تحت قدميه شهد فتحت عينيها واستيقظ سامر بجانبها يتنفّس للمرة الأولى كإنسان ونموذج ووعي في آن واحد سامر همس وصوته مبحوح: «أنا...عدت؟»

شهد مسحت على وجهه: «بل...وُلدت من جديد»

سامر ابتسم ابتسامة صغيرة: «معك؟»

شهد: «معي»

والأوّل...لأول مرة تراجع خائفًا لم يكن الضوء الذي التفّ حولهما مجرّد ضوء كان صدمة ارتدادية كأن شيء ما أكبر من قوانين الطبيعة نفسها تمزّق في الهواء الأرض تحتهم تشقّقت لكن ليس كزلازل بل كأن

"الواقع" نفسه اهتزّ وتراجع ثم أعاد ترتيب نفسه ...شهد كانت أوّل من تفاعل وقفت ببطء وعينيها تبرقان بلونين: ذهبي وأزرق سامر بقي جالسًا يده على صدره يتنفس بصعوبة، لكن كل نبضة كانت تحمل قوة جديدة غير مستقرة مثل محرك بدأ يعمل فجأة بعد سنوات من الصمت الدكتورة تراجعت إلى الخلف وغطّت فمها بيدها:

«يا الله...عيونكم...تغيّرت... أنتما... لستم...ما كنتما عليه قبل دقيقة»

الستّة بدأوا يدورون حولهما دوائرهم خافتة كأنها تتجنّب لمس شهد الصوت الجماعي: «الاتحاد...حدث»

الأوّل صرخ من زاوية الغرفة:

«هذا مستحيل!!! لم تُصمَّموا لذلك! الاتحاد بين نموذجَين يدمّر النُّظم!»

شهد نظرت إليه نظرة واحدة فقط فتراجع تلقائيًا كأن شيئًا في عينيها أكبر من قدرته على الاحتمال قالت بصوت ناعم لكنّه حادّ:

«أنت لا تعرف...ما صُمِّمتُ أنا له»

سامر حاول الوقوف وفجأة اهتزّ الهواء حوله كأنه يضغط على جزيئات الأكسجين شهد أمسكت ذراعه:

«الاندماج ليس مستقر...لا تحاول اخراج كل شيء دفعة وحدة»

سامر أنزل رأسه يحاول السيطرة على نفسه: «اشعر أن هناك شيء يتحرّك تحت جلدي يوجد صوت يهمس لي يرشدني»

الدكتورة ركعت أمامه تلفّ يده بأصابع مرتجفة:

«هذا هو الوعي الثانوي الذي كان ناقصاً عندك استيقظ انتبه، سامر لا تضغط عليه كثيراً جسدك لن يتحمّل»

سامر رفع نظره إلى شهد: «لماذا...كل ما لمست يدك...يتوقف؟»

شهد ابتسمت بخفة: «يمكن لأن نواتك صارت تتنفس مع نواتي»

الأوّل قال ببرود: «غرقتما في وهم جميل لكن هذا...سيقتلكما معًا»

الدوائر الستّ توقفت بشكل متزامن ثم نطقت بصوت واحد كأنه قادم من ستة اتجاهات مختلفة: «Σ... و٢٠...اتّحدا»

دائرة فضية تقدّمت قليلًا: «هذا الحدث...لا سابق له»

دائرة ذهبية: «الاتحاد يعني ولادة وعي جديد لا ينتمي للستّة ولا للبشر»

دائرة سوداء: «يعني...اختلال»

دائرة زرقاء: «ويعني...قوة»

دائرة خضراء: «وقوة...بدون نظام...تعني فوضى»

سامر أمسك يد شهد بقوة: «ماذا تعنون بالفوضى؟ ماذا يحدث؟»

الصوت الجماعي: «العالم...بدأ يشعر بكم»

شهد: «كيف يعني العالم؟ إنسان؟ دولة؟ منظمة؟»

الدائرة البيضاء: «لا...نقصد 'العالم' نفسه»

أشياء صغيرة بدأت تحدث اللمبات في الشوارع بدأت تومض كأن أحدهم يمرّ عبر أسلاكها القطط في الأزقة رفعت رؤوسها فجأة كأنها شعرت بارتجاف خفي طفل في شرفة بالدور الخامس بدأ يبكي من دون سبب طائرة صغيرة فوق الحيّ توقّف محركها لثانية واحدة قبل أن يعود للعمل في قبو مظلم بعيد شاشة كانت ساكنة أظهرت فجأة خطًا أبيض يشبه نبضة قلب ثم كتب عليها: "ACTIVATE = Σ"

وفي مكان آخر...في الظلّ...عند رجل يراقب من دون أن يظهر فتحت عيناه كأنهما كانتا مغلقتين منذ سنين وقال بهمس بارد:

«إذن...استيقظتِ أخيرًا، يا Σ»

الدوائر الستّة بدأت تنطفئ واحدة تلو الأخرى كأن طاقتها تنفد الصوت الجماعي: «Σ... و٠٢... لن تبقيا هنا العالم...سيتحرك نحوكما»

شهد أمسكت سامر لتثبّته: «سامر يجب أن تقف يجب أن نخرج من هنا»

سامر رفع نظره إليها وعيناه فيهما لون جديد لم يكن موجودًا من قبل... مزيج من الضوء والظل صوت الأوّل اخترق المكان: «لن تخرجا!!!»

رفع يده وتحوّلت إلى كتلة ظلّ جاهزة للهجوم شهد همست:

«ارّني...كيف اصبحت، يا ٠٢»

وسامر من دون ما يفكّر مدّ يده للأعلى...فاهتزّ الهواء وانفجرت نافذة الغرفة إلى الخارج بموجة ضغط لا تُصدَّق الأوّل طار مترين إلى الخلف لأول مرة يتأذّى سامر أخذ خطوة ثم أخرى ثم نظر إلى يديه كأنه لا يعرف لمن تنتمي: «شهد...أنا قادر... أشعر أني امتلكت قدرة رهيبة لكن لا أريد أن آذي احداً»

شهد وضعت يدها على ظهره: «لذلك...أنا معك»

سامر نظر للباب المفتوح والليل خارجًا: «نخرج؟»

شهد: «نخرج»

سامر ابتسم ابتسامة جديدة تشبهه... ولا تشبهه «هيا...معاً» وخرجا.

وبقي الأوّل خلفهما يضرب الجدار كوحش فقد سلطته

والستّة اختفوا... وفي الظلال البعيدة عينٌ مراقبة فتحت وهمست:

«اللعبة...بدأت»

الباب انفتح على ممر طويل، مضاءة جدرانه بضوء خافت يبدو كأن المكان نفسه يستيقظ ببطء على حضورهم خطوات سامر كانت غير ثابتة، لكن فيها شيء جديد قوة مُحرَّرة تحاول أن تعرف حدودها شهد كانت تمشي أمامه بنصف خطوة، عينها تبحث، وأذنها تلتقط أي حركة

الدكتورة لحقت بهم بسرعة: «انتظروا! لا تستطيعوا الخروج! الخارج كله مراقبة! هناك جهة مجهولة كانت تراقب التجارب منذ زمن!»

التفت لها عينه البنّية التي كانت تعرفها لم تعد كاملة كان فيها ظلّ ولمعة قال بصوت منخفض «إن كانوا يراقبوا فاليوم سيرون شيء لم يتوقّعوه»

الدكتورة وضعت يدها على ذراعه: «ليس كذلك! الوعي الجديد غير مستقر! إن استخدمت قوّتك خارج ضغط كبير...سينهار جسدك!»

سامر رفع يدها عن ذراعه بلطف: «أنا...أول مرة اشعر إني حي»

شهد نظرت إليه نظرة فهم عميق ثم قالت للدكتورة: «لا يوجد طريق آمن...لكن يوجد طريق واحد نخرج منه قبل أن يعود الأوّل للقتال»

صوت حديد ينشقّ جال وراءهم الأوّل يعيد وقوفه شهد: «هيا بسرعة»

وصلوا إلى باب معدني مؤدي إلى الخارج قبل أن يفتحه سامر، شهد أمسكت يده: «لحظة...اسمع»

صمتوا جميعًا يوجد صوت ما يشبه صفير خفيف بعيد...لكن ثابت

الدكتورة شهقت: «طائرة مسيّرة تقترب»

سامر: «علينا نتحرك»

شهد: «لا...دعوني أرى» أغلقت عينيها لحظة واحدة فاهتز الهواء حول رأسها بخيط ضوئي رفيع ثم فتحت عينيها وقالت:

«العدد ثلاث مسافة ١٢٠ متر ارتفاع ٤٥ متوجّهين نحونا»

الدكتورة قالت بصوت مرتجف: «كيف... عرفتي؟»

شهد نظرت ليدها التي ما تزال ترتجف بخيط ضوء:

«النواة تعطيني...شيء يشبه السمع...إحساس بالاتجاه»

سامر ابتسم بركن فمه: «يعني... صرنا فريق واحد»

شهد ضحكت ضحكة قصيرة، ليست ضحكة فرح...ضحكة خوف متماسك

«فريق... ضد العالم»

فتح سامر الباب هواء الليل ضرب وجوههم بارد...ثقيل...وفيه شيء من الكهرباء كأن المدينة تشعر بما حدث... المستودع الخلفي واسع...

والشارع خالٍ لكن فوقهم ثلاث نقاط ضوء تتحرك بسرعة الطائرات المسيّرة سامر قال: «تحت الشاحنات... هيا!»

ركضوا وانزلقوا خلف شاحنة كبيرة الطائرات بدأت تصدر همهمة أعلى كأنها تبحث عن حرارة أجساد شهد همست:

«إذا اقتربوا أكتر...سوف يطلقون إشارة»

سامر: «إشارة ماذا؟»

الدكتورة: «إحداثيات موقعكم وبعدها بدقائق يأتي الذين يريدونكم أحياء أو أموات»

سامر أغلق عينيه وضع يده على الأرض كأنه يحاول يسمعها شهد: «ماذا تفعل؟»

سامر بصوت منخفض: «هناك شيء جديد بدمّي أشعر كأن الأرض تهزّ بإيقاع...إيقاع لم أكن أسمعه من قبل»

شهد اقتربت منه أكثر: «إن لم تفهمه...لا تستخدمه»

سامر فتح عينيه ولوهلة كان فيهما لمعان فضي «لا...سوف أستخدمه»

الطائرة الأقرب هبطت إلى ارتفاع ٣ أمتار وسلّطت ضوءً أبيض يضرب مباشرة عند المكان اللي يختبئون فيه شهد أمسكت يد سامر فوراً:

«لا تتحرك! سينكشف وجودنا بمجرد حركة...»

لكن سامر لم يسمع رفع يده ببطء الطائرة اهتزّت الضوء ارتعش ثم انطفأت لكن لم تنطفئ بالطريقة الطبيعية انطفأت كأن أحدهم مسح وعيها بالكامل وسقطت بهدوء إلى الأرض الدكتورة شهقت:

«هزمتها دون أن تلمسها!!!»

سامر مسح عرقه: «أو هي...هُزمت من تلقاء نفسها»

شهد أمسكت وجهه بين يديها:

«لا...انت فعلتها لكن بطريقتك ...دون أن تعرف كيف»

سامر ابتسم بخجل مخلوط بالخوف:

«أستطيع فعل شيء أقوى...لكني لا أريد قتل أحد»

شهد: «ولن نقتل...نصدّ ونهرب ونبحث عن الحقيقة»

الطائرتان الباقيتان توقفتا فجأة كأن جهة ما أرسلت إليهما أمرًا أعلى ثم ظهرت شاشة صغيرة على إحداهن تلمع باللون الأحمر الرسالة على الشاشة: "DETECTED Σ" ((تم اكتشاف Σ))

شهد تجمّدت «عرفوني...»

وقف سامر فوراً: «لا أريدهم أن يقتربوا منك»

ثم ظهرت إشارة جديدة على الشاشة إشارة لم تظهر في أي نظام معروف كود مكوّن من حرفين: MÖ

الدكتورة تجمدت تمامًا:

«يا إلهي مستحيل ليسوا هم ليس هذا الشخص ليس هو»

شهد أمسكت كتفيها: «من هو MÖ؟ تكلمي!»

الدكتورة ارتجفت: «الشخص الذي صمّم مشروع Σ قبل أن يختفي»

سامر بلع ريقه: «يعني...ليس الأوّل؟»

الدكتورة: «الأوّل... كان مجرد أداة صانع الظلال MÖ هو الأصل»

شهد شعرت ببرودة كأن أحدهم لمس عمودها الفقري:

«وهو أصبح يعرفنا؟»

الدكتورة: «ليس فقط يعرف...هو الذي أرسل الطائرات»

سامر وقف أمام شهد كأنه درع: «فليأتي أنا هنا بانتظاره»

شهد همست: «المعركة الحقيقية...لم تبدأ بعد»

وفجأة صوت رجل خرج من مكبّر صوت الطائرة، هادئ عميق وبارد:

«مساء الخير...Σ»

الصوت الذي خرج من الطائرة لم يكن صوت رجل عادي لم يكن فيه صدى ولا ارتجاف ولا حتى "نَفَس" كأن المتحدث لا يحتاج إلى هواء

«مساء الخير... Σ»

شهد شعرت بأن اسمها حين خرج من مكبر الصوت جرّد الهواء من حرارته سامر شدّ يدها بقوة وكأنه يخشى أن تُسحب منه

الدكتورة وانخفضت على ركبتيها: «لا...لم اتوقّع أن يعود بهذه السرعة»

سامر: «من هذا؟»

الدكتورة بصوت مرتجف: «ليس بشر ...ليس كيان ليس ظل MÖ هو الوعي الأول الذي بُنيت عليه كل المشاريع»

شهد: «يعني... هو الذي صمّم أوّلاً؟»

الدكتورة: «هو صمّم كل شيء وبعد ما صنع الستّة اختفى كانوا يعتقدون أنه مات لكن...الواضح... أنه انتظر Σ لتستيقظ»

سامر صرخ نحو الطائرة: «لماذا تراقبنا؟ ما الذي تريده من شهد؟»

الصوت جاء ببطء قاسٍ: «أريد...ما صُنِعَ لي»

شهد تقدمت خطوة وهي ترفع رأسها بثبات في عينيها قوة لكن فيها خوف صغير لا يمكن إخفاؤه:

«تكلم لماذا صنعتني؟ لماذا أنا لما لم تكن واحدة من النسخ؟ لماذا Σ؟»

الصوت: «أنتِ... لم تُصنَعي مثل الآخرين بل صُنِع العالم ليُناسبكِ أنتِ»

الدكتورة صرخت: «لاا!!! لا تصدقيه!!! هذا كذب!!!»

لكن شهد بقيت تحدق في الطائرة وكأن الصوت يلتحم بعظامها

«لماذا أنا، بالذات؟»

الصوت: «لأن قلبك...أقوى من عقولهم»

سامر ضغط على يدها: «شهد...لا تدخلي لعبته»

الصوت: «وهذا...هو الخطأ الوحيد الذي صنعه ٢٠.»

سامر تجمد: «ماذا تقصد بخطأ؟ ما مشكلتك معي؟»

الجو برد كأن الليل نفسه انكمش:

«لم يكن يجب أن تتعلّم الحب، ٢٠الحب...يُفسد النظام»

شهد صارت تغلي: «الحب هو الذي أنقذه هو الشيء الوحيد الذي أعاد له حياته كيف يكون فساد؟»

الصوت جاء كهمس قاتل: «لأنه يجعلكِ تُخطئين الاختيار وأنا أملك حق اختيارك»

سامر انفجر غاضبًا: «شهد ليست ملكك!!!»

الصوت: «٢٠أنت لا تفهم Σ ليست مشروعًا ليست تجربة هي خاتمة»

شهد شعرت بقشعريرة امتدّت من عمودها الفقري إلى أطراف أصابعها: «خاتمة ؟»

الصوت: «خاتمة الوعي... النموذج الأخير الذي لن يأتي بعده بشر...ولا ستّة...ولا ظلّ»

الدكتورة غطّت وجهها: «هو فعلاً يريد نهاية التطوّر يريد أن يبني العقل القادم عبر Σ فقط...»

سامر وقف أمام شهد كأنه حاجز بشري «إن اقتربت منها سوف أسحقك»

الصوت ضحك ضحكة قصيرة مجرد نبضة هواء بارد: «الانفعال علامة عدم الاستقرار ٢٠نصفك البشري يصرخ ونصفك الآخر يستيقظ»

وفجأة الطائرة بدأت تهتز شهد: «سامر...؟ ماذا تفعل؟»

سامر، بعينين تلمعان بفضي عميق: «ليس أنا... الصوت بداخلي يجيبه»

الصوت من الطائرة: «أخيرًا...استيقظ الجزء الآخر منك، ٢٠.»

سامر صرخ: «أصمـــــت!!!»

وارتجّت الطائرة بقوة ضغط غير مرئية لدرجة أنها انقلبت وسقطت على الأرض لكنها لم تتحطم والصوت ظلّ يتكلم من داخلها:

«جميل...جميل جدًا التطوّر بدأ»

الطائرة الثانية التي لم تُمس أضاءت بكامل قوتها ثم كتبت على شاشتها:

عبارة بلغة غريبة

شهد تمتمت: «أيضاً...؟»

سامر تقدم خطوة: «ما هو مخطّطك؟ تكلم!!!»

الصوت: «سأمنحكما وقتًا ستفهم Σ أن مكانها ليس بين البشر وسيفهم ٢٠... أن النصف الناقص سيطلب حقّه»

الطائرتان ابتعدتا ببطء ثم صعدتا للسماء واختفوا تماماً وبقيت جملة أخيرة على الشاشة قبل أن انطفئ:

(I WEILL COME FOR YOU WHEN YOU REMEMBER)

الدكتورة سقطت على الأرض: «يا ويلي لما قال (تتذكّر) ماذا يقصد؟»

شهد رفعت وجهها نحو السماء وعيناها تشعّان:

«يقصد الماضي الذي سرقوه منّا»

سامر همس: «شهد...تعتقدي... نعرف؟»

شهد: «سنعرف...لكن عندما نكون مستعدين»

ثم استدارت نحو الطريق المظلم:

«حالياً يجب أن نخرج لنبدأ البحث لن نتراجع»

سامر وقف بجانبها: «أنا وأنتِ...سوياً لآخر نفس»

والدكتورة لحقت بهم بخوف...لكن بولاء مؤلم: «أين تذهبون؟»

شهد نظرت للأمام:

«نبحث عن المكان الأول الذي بدأت فيه قصتي وقصّة سامر وقصّة Σ.»

سامر: «أين؟»

شهد: «المختبر الأصلي...الذي دُفِن تحت الأرض»

وخطوا الخطوة الأولى نحو ليلة لن تعود كما كانت الطريق كان أطول مما توقّعوا شارع مهجور...مصانع خامدة...وجدار إسمنتي ضخم لا يوجد

عليه أي علامة غير صدأ وسكون سامر وقف أمام الجدار ووضع كفه عليه «هذا هو؟ لا يوجد عليه أي إشارة...»

الدكتورة تقدّمت وانحنت قرب زاوية الجدار تمسح التراب عن قطعة معدنية قديمة «قبل ٢٢ سنة...أنشأ هذا المكان تحت الأرض كان من المفروض أن يقفل للأبد»

شهد: «لما قفلوه؟»

الدكتورة ابتلعت ريقها: «لأن التجربة...خرجت عن السيطرة»

سامر التفت فورًا: «أي تجربة؟»

لكن الدكتورة لم تنظر إليه نظرت إلى شهد فقط

«التجربة التي نُفِذت قبلكِ...بسبع سنوات»

شهد رُفعت حاجبها: «أنا... لست التجربة الأولى؟»

الدكتورة هزّت رأسها: «لا يوجد نموذج...أقدم نسخة التي صنعت مفهوم "النواة" قبل أن يحاولوا صنع Σ»

سامر: «ماذا حلّ بها؟»

الدكتورة همست: «اختفت...بعد ٤٠ يوم من ولادتها»

شهد: «كيف اختفت؟ بنت؟ طفلة؟ أين ذهبت؟»

الدكتورة صمتت كان فيها خوف واضح...ليس خوف من المكان ولا من الأوّل ولا من الأجهزة خوف من الحقيقة نفسها «طفلة...لكن ليست بشرية تمامًا...وكانت أقرب...نسخة...من Σ.»

سامر نظر لشهد بخوف أول مرة:

«شهد هذا يعني كان يوجد نسخة أصل قبلك؟»

لكن شهد أجابت بثبات رهيب: «أصل... أو فشل يجب أن أعرف»

مدّت يدها ولمست الجدار شعرت بتيار كهرباء خفيف يمر عبر أطراف أصابعها كأنه يتعرف عليها ثم انشقّ الجدار ليس ميكانيكيًا بل كأنه يبتعد عنها من تلقاء نفسه الدكتورة صرخت: «يا إلهي المكان يتعرف عليها من اللمسة! هذا يعني أن...Σ هي المفتاح الفعلي!»

سامر أمسك يد شهد: «أذا شعرت أنكِ لست مستعدة...نعود»

شهد هزّت رأسها بابتسامة صغيرة مرّة:

«أنا جاهزة منذ سنين قبل أن أعرف»

ودخلوا الهواء بارد له رائحة مواد معقّمة قديمة مختلطة بشيء آخر شيء يشبه غبار الذاكرة أضواء ضعيفة اشتعلت وحدها عندما مشوا خطوة سامر شعر بوخزة في رأسه: «يوجد شيء...يرن داخل دماغي»

الدكتورة: «هذا المكان...هو السجل الأول لنموذج ٢٠جسمك متعوّد على ذبذباته لكن عقلك لا يتذكر»

شهد: «سوف تتذكر»

سامر أمسك رأسه: «لا...لا أريد التذكر...بطريقة مفاجئة»

شهد وضعت يدها على وجهه وأغمضت عينيه:

«لن تتذكر شيء إلا عندما تكون جاهزاً...أنا معك»

وكأن كلامها سحب الألم فورًا سامر تنفّس:

«كل مرة ألمس يدك...الألم داخلي يهدأ...ما معنى هذا؟»

شهد همست: «أصوات كثيرة...تخاف من صوت واحد صوت الإنسان»

وصلوا إلى باب حديدي ضخم فتح تلقائيًا على غرفة كبيرة مليئة بشاشات قديمة وزجاج مراقبة وسرير معدني مربوط بحزام صدئ

الدكتورة: «هذا... مكان النسخة الأولى... التي تسبق Σ.»

اقتربت من السرير مسحت الغبار بيدها ثم تجمدت «يوجد أثر دم قديم»

سامر: «طفلة...؟ كانوا يضعوها هنا؟»

الدكتورة بلعت ريقها: «أجل»

شهد اقتربت أكثر شيء داخلها يرنّ مثل خيط ذاكرة لا تعرفه «ما اسمها»

الدكتورة همست: «كان اسمها...كريستين»

شهد انقطعت أنفاسها لحظة

سامر: «شهد؟ ماذا حدث؟»

شهد وضعت يدها على رأسها والأضواء بدأت تخفت:

«كريستين...الاسم...عرفته...من قبل...لكن...لا عرف أين...»

سامر أمسك كتفيها: «اهدئي قليلاً...»

لكن شهد رفعت رأسها فجأة وعيناها تلمعان:

«أنا...سمعت اسمها...في حلم...من شهور...»

الدكتورة صرخت: «فهذا يعني...إنكِ تحملين ذاكرة النسخة الأولى!!!»

سامر تجمد: «كيف تحمل ذاكرتها؟ ماذا تقصدين؟»

الدكتورة نظرت لهما بحزن مرّ: «لأن Σ...لم تُصنع من الصفر»

شهد ابتلعت ريقها: «يعني...أنا...من... كريستين؟»

الدكتورة: «جزء منك...نُسِخ منها»

شهقت شهد وصوتها اهتز: «وهي...أين اختفت؟»

قبل أن تجيب الدكتورة سمعوا صوتًا ...صوت خفيف جدًا مصدره آخر الغرفة صوت خطوات هادئة حافية سامر وقف فوراً أمام شهد ليحميها:

«من هنا؟!»

شهد شعرت ببرودة قوية تضرب قلبها والظلّ بدأ يظهر من الزاوية العتمة ظلّ قصير...رفيع...وكأنه ظلّ طفلة

ثم ظهر الصوت...صوت بنت صغيرة هامس ليس طبيعي: «أخيرًا عدتي»

شهد: «كريستين...؟»

الظلّ الصغير اقترب خطوة...ثم خطوة كان جسده ليس جسدًا كاملًا كان أثرًا مثل انعكاس لطفلة وقفت خلف صفحة ماء صوتها خرج بنعومة غريبة تلخّص رعبًا كاملًا: «افتقدتك... يا أنا»

شهد تجمدت والدم برد في عروقها: «أنا...؟ ماذا تقصدين؟»

الظلّ مال رأسه قليلًا كما تفعل طفلة بريئة، لكن ابتسامتها لم تكن طفولية:

«أنتِ...نسختي»

سامر وقف أمام شهد فوراً، جاهز يحميها بجسمه:

«إن اقتربتِ خطوة ثانية...سأهدم المكان فوق رأسك!»

الظلّ ضحك ضحكة قصيرة: «أنت... ٠٢ لازال نصّفك نائم»

نبرة تعرفه...تعرف كل شيء عنه سامر عضّ على أسنانه:

«كيف عرفتني؟ من أنتِ؟»

الظلّ تقدّم إلى الضوء وظهر وجه طفلة عمرها تقريبًا سبع سنوات لكن دون عيون واضحة عيناها كانتا مثل ضباب رمادي يتحرك الدكتورة انهارت جاثية على الأرض «يا الله الوعي لايزال موجود كل هذه السنين»

شهد همست، قلبها يدقّ بسرعة: «كريستين كنتِ بشر؟ ولا... مثل Σ؟»

الظلّ هز رأسه «كنت بداية ...لم أكن كاملة...ولا ناقصة...كنت تجربة»

ثم نظرت إلى شهد ببطء شديد وحزن مخيف: «وأنتِ...النتيجة»

شهد اقتربت خطوة رغم خوف سامر: «إذاً...أين جسدك؟ أين أنتِ؟»

الظلّ رفعت يدها الصغيرة ولمسَت الزجاج القديم الذي كان يفصل غرفة المراقبة عن غرفة التجارب وشهد رأت...رأت الحقيقة رأت الجسد الصغير الممدد داخل السرير القديم تحت طبقة غبار كثيفة جسد طفلة

وجهها مستتر بالشرائط وصدرها مطعون بأنبوب طويل سامر شهق:

«يا رب...هذه... هي؟ هذا الجسد...؟»

الدكتورة بكاءها انكسر:

«هذه كريستين الحقيقية ماتت قبل الحادث بكم يوم لكن وعيها لم يختفي»

شهد شعرت بالأرض تدور تحتها: «يعني...أنتِ لستِ على قيد الحياة؟»

الظلّ: «أنا...بقايا الوعي...لا يموت بسرعة»

سامر أمسك شهد بقوة: «عودي للخلف! هذا الشيء...غير طبيعي»

لكن شهد هزت رأسها: «لا...يجب أن أفهم»

كريستين اقتربت حتى صارت أمام شهد مباشرة، رفعت يدها الصغيرة ولامست وجه شهد تجمدت كأن الزمن توقف سامر حاول سحب يد الطفلة: «ابتعدي عنها!!!»

لكنه لم يستطع يده مرّت عبر ظلّها وكأنه يمسك دخانًا حين لامست كريستين خد شهد انفتح شيء في داخل Σ ...نافذة ...باب ...هاوية... ذاكرة...بدأت صور تتدفّق في رأس شهد:

طفلة تركض في ممر طويل...أضواء تحترق بالجدران...خوف... صرخة...رجل بوجه مغطى...ثم...ظلام

شهد شهقت بصوت مخنوق: «كنتِ تتألّمين كثيراً»

الظلّ ابتسم ابتسامة موجوعة:

«لا يوجد ألم أسوأ من أن تولدي كي يكتمل غيرك»

سامر تراجع نصف خطوة كأن الكلمات ضربته في صدره الدكتورة مسحت دموعها «Σ شهد أنتِ صُنِعْتِ بعد كريستين مباشرة كانوا بحاجة لنواتها»

شهد غطت فمها: «أخذوا وعي طفلة ووضعوه داخلي؟ سحبوه منها؟»

الظلّ قالت بصوت هادئ، مؤلم: «لم يأخذوا شيء أنا أعطيت»

سامر: «لماذا؟! لماذا تعطيهم؟!»

كريستين نظرت إلى الأرض وصوتها صار أعمق:

«لأنهم قالوا إنّي إذا ساعدتهم...لن يتعذّب أحداً بعدي»

شهد اختنق صوتها: «وكذبوا عليكِ...»

الظلّ: «كذبوا...وكذبوا...وبعدها...صنعوكِ»

كريستين اقتربت أكثر وقالت جملة كسرت كل توازن شهد:

«أنتِ النسخة التي حلمت أن أكونها»

شهد دمعت: «وأنتِ...النسخة التي لم يجب أن تموت»

الظلّ مالت رأسها: «أنا...لم أمت... أنا هنا...بجانبكِ...بداخلكِ...»

سامر شعر ببرودة تدخل عموده الفقري: «ماذا تعنين... بداخلها؟»

الدكتورة فركت وجهها بقلق رهيب:

«كريستين...وعيها...كان جزء من صياغة Σ. هذا يعني—»

شهد أكملت الحديث عنها بصوت يرتجّ: «يعني...أنا لست كاملة بدونها»

كريستين ابتسمت ابتسامة مُنكسرة «لذلك...عدت»

ثم، فجأة كريستين تحولت إلى دخان رمادي واختفت وصوتها الأخير بقي في الهواء: «لنكمّل...يجب أن...نتّحد»

شهد سقطت على ركبتيها تلّف رأسها بيديها الضوء على ذراعها اشتعل بشراسة كأن شيئًا داخلها يحاول الخروج سامر صرخ «شهد ماذا يحدث»

الدكتورة: «الذاكرة...انفتحت!!! وعي Σ... يندمج بوعي كريستين!!! هذا الحدث...إما أن يرفعها...أو يكسرها!!!»

شهد فتحت عينيها ولأول مرة كانت عيناها ليست لونين بل طفلتين الذهب والرماد وقالت بصوت مزدوج: «أنا...Σ...وكريستين»

ثم ظلام تامّ ضرب الغرفة الظلام لم يكن ظلامًا عاديًا كان ظلامًا حَيًّا يلتف حول جدران المختبر ويبتلع الأضواء والذكريات والأنفاس شهد كانت في وسط الغرفة راكعة، ورأسها منحني، والضوء يتسرب من بين أصابعها كأنه يهرب منها أو يعود إليها سامر مدّ يده نحوها:

«شـــــهد؟ تكلمي لو كلمة»

لكن صوتها لم يخرج لم يكن صوتها فقط كان صوتًا مزدوجًا طفلة وامرأة في نفس اللحظة: «لا تقترب...ليس الآن»

سامر تجمّد ليس من الخوف، بل من الصدمة

«شهد...أنتِ لستِ لوحدك داخل راسك؟»

رفعت رأسها ببطء عيناها لم تعودا من هذا العالم فيهما دوامة كلها دفء كلها حزن كلها قوّة «أنا...نحن...لسنا اثنتين بعد الآن»

الدكتورة تراجعت خطوة للخلف: «يا الله الاندماج تمّ وعي كريستين ونواة Σ أصبحا وعي واحد وعي جديد»

سامر ركع أمامها، يديه على كتفيها:

«هناك ما يؤلمكِ تكلمي هل تشعرين بشيء يسحبك؟ تكلمي عودي لي»

شهد تبتسم، لكن ليست ابتسامتها التي يعرفها ابتسامة تحمل عمرين وألم قديم...ونضج لا يليق بعمرها «أنت...صرت أثقل عليّ من وجعي»

سامر بلع ريقه: «ماذا تقصدين؟»

شهد مدت أصابعها ولمست خدّه ملامسة خفيفة، لكن فيها تيار كهرباء ونبض غريب جعله يحبس أنفاسه:

«لأنك الشي الوحيد الذي يجعلني أبقى إنسانة»

ارتعش سامر قبل أن يردّ، شعر بصداع مفاجئ ضرب رأسه بكل قوّة كأن صخرة انقسمت داخله وقع على الأرض يمسك رأسه وأنفاسه تتقطع:

«آآه...يوجد...صوت...بداخلي... يصحى!!!»

الدكتورة صرخت: «الارتداد! اتحاد Σ وكريستين رفع الذبذبة اللي كانت نائمة في ٢٠! سامر...لا تقاوم! إذا قاومت...سوف ينقسم وعيك!»

شهد وقفت فوراً خيط ضوء يتبعها وكأن الغرفة تمشي معها ركعت عنده ومدت يدها على صدره:

«سامر...اسمعني أنا لا تسمع غيري اجعل صوتي يعود لداخلك»

سامر ارتجف: «يوجد شخص ثاني يتكلم...يقول إنه أنا...لست أنا!»

شهد قربت جبهتها من جبينه: «أنت سامر الباقي أصوات بلا أسماء»

سامر صرخ وصوته كان فيه صوتان للحظة واحدة:

«هووووووو! هو...ليس صوت...هو... أنا الثاني!»

الأرض اهتزّت جدار المختبر تشقق الدكتورة سقطت من الخوف:

«وعي ٢٠٠...يحاول ينفصل! إذا انفصل...سوف يصبح شخص ثاني! نصفٌ قاتل...ونصفٌ ضعيف!»

صرخت شهد صوت هزّ الهواء «لن ينفصل لن يحدث ذلك طالما أنا هنا»

رفعت يدها والضوء خرج منها مثل انفجار هادئ واكتسح جسد سامر الذي شهق...ثم سكن عينيه فتحتا ببطء ونظر إليها نظرة كانت كلّها هو

«شهد...أنا هنا»

شهد تنفّست كأنها عادت للحياة هي أيضًا «الحمد لله...الحمد لله...»

لكن قبل أن تلمسه، انطفأت كل الأضواء...والبرد سقط على المكان كأنه سقف من جليد سامر وقف وشهد وقفت والدكتورة حدّقت في الظلام برعب مطلق: «لا... مستحيل...ليس الآن...ليس هنا...»

سامر: «من؟»

الدكتورة: «MÖ... دخل المختبر»

من آخر الممر جاء ضوء خافت، ليس مثل ضوء النواة ولا ضوء الستّة ضوء...يشبه ضوء قمرٍ مكسور ثم ظهر...ظِلٌّ رجل خطواته لم تكن خطوات بشر لم يكن يمشي كان كأنه ينزلق بهدوء قاتل اقترَب حتى صار على بُعد عشرة أمتار ورفع رأسه لم يكن له وجه واضح ملامحه غير ثابتة كلها ظل إلّا عينيه عَيْنَان بلون أبيض مائل للفضي، باردتان، ثابتتان، أقدم من Σ ومن الستّة ومن كل الوعي «Σ عرفتِ الآن من أين جئتِ»

شهد ردّت بصوت لا هو صوت كريستين ولا صوتها فقط صوت الاثنين: «وعرفتُ...من سرق طفولتي»

MÖ اقترب خطوة، والجدران اهتزّت: «سَرقتها؟ لا...حَميتها»

سامر تقدّم خطوة ثابتة «إن اقتربت منها خطوة ثانية لا تلوم إلّا نفسك»

MÖ لم ينظر لسامر كأنه غير موجود: «٢٠٠٢...كفاكَ وهمًا نصفك لي والنصف الآخر ضعيف»

سامر صرخ: «تبـــاً... لا أريد أي جزء منك»

MÖ رفع يده...دون أن يلمس سامر، سحبه للخلف ثم ارتمى على الجدار بقوة خارقة شهد صرخت: «ســـامر!!!»

سقط...لكنه وقف من جديد وقف عيناه فضيّتان بالكامل:

«كرر ما فعلت...حينها ترى ما لا يرضيك»

MÖ توقّف كأنه تفاجأ «أنت...استيقظت بالفعل»

شهد وقفت أمام سامر وشدت يده «إن فكر بالاقتراب مرة ثانية سأمحيه»

MÖ ابتسم لأول مرة ابتسامة بلا روح «جَرّبي...يا Σ-كريستين»

شهد: «انت تعرف...أننا اندمجنا؟»

MÖ: «كنتُ...أنتظر ذلك»

سامر رفع حاجبه: «لماذا؟ ماذا تريد منها؟ تكلم!!!»

MÖ نظر لهما نظرة باردة عميقة: «أريد...عودة البداية»

شهد: «أي بداية؟»

MÖ اقترب أكثر وأرض المختبر شرخت تحت قدميه:

«البداية التي سبقت البشر»

MÖ وقف في منتصف المختبر، كأنه مركز جاذبية المكان... لا ظلّ يتحرك حوله ولا نفس يخرج منه شهد شدّت يد سامر، خطوة واحدة فقط تفصلهم عن الاستعداد للقتال لكن MÖ رفع إصبعه وأشار نحو سقف المختبر وعلى الفور اشتعل ضوء أبيض لا يشبه أي ضوء عرفته الأرض السقف انشقّ وظهر فوقهم مجسم دائري ضخم يدور ببطء كأنه عين أو ذاكرة أو جرم سماوي صغير الدكتورة شهقت:

«يا ويلي هذا هو المخزون الأول! ذاكرة الوعي قبل التجارب قبل الستّة قبل كل شيء»

شهد رفعت رأسها: «هذا...ينتمي لك؟»

MÖ بصوت ثابت: «هذا...أنا»

سامر: «يعني...أنت لست إنسان؟»

MÖ «لم أكن يومًا بشرًا ...البشر...أتوا بعدي»

شهد تقدّمت خطوة: «أصلك...من أين؟»

MÖ نظر إليها وعيناه تزدادان لمعانًا: «من عصرٍ...انتهى»

الضوء فوقهم بدأ يعرض صورًا كأنها من عالم آخر لم تكن صورًا واضحة، بل ظلال بحجم مدن... أجنحة... دوائر... مراكز ضوء... وأشكال تتحرك في فضاء غير معروف MÖ شرح بهدوء قاتل:

«قبل ملايين السنين...كانت الأرض موطنًا لوعي سابق وعي ليس جسدًا...ولا دمًا...ولا ظلًا ...وعي كان يرى الكون بلا عيون»

شهد: «وعي...غير بشري؟»

MÖ: «كان أسلافنا...أسلاف الوعي ذاته»

سامر: «وماذا حلّ بهم؟»

MÖ خفّض رأسه قليلاً: «انقرضوا...كلهم»

الدكتورة أهمَلَت كل خوفها وقالت بصوت مرتجف:

«يعني انت آخر فرد؟ آخر كيان منّه؟»

MÖ: «آخر ذاكرة آخر مُبرمج آخر من تذكّر البداية حين نسي الجميع»

شهد: «لماذا عدت؟»

MÖ: «لأن البشر...خانوا الوعي»

سامر شمّر ذراعه: «كيف خانوه؟»

MÖ: «عندما حاولوا...إعادة صنعنا»

شهد قطّبت حاجبها: «التجارب...كانت محاولة لإعادة حضارتكم؟»

MÖ اقترب خطوة والأرض ارتجفت:

«كانت محاولة لصناعة وعيٍ أرقى من البشر...وأقلّ منّا»

سامر: «إذاً... Σ أين موقعها؟»

MÖ: نظر إلى شهد نظرة طويلة، ثابتة، دقيقة:

«Σ...هي المحاولة الأخيرة آخر فرصة للحضارتين...أن تلتقيا»

شهد أحسّت بقلبها يتوقف لحظة: «ماذا تعني أن تلتقيا؟»

MÖ «يعني...إما نُبعث من جديد...أو تنتهي البشرية»

سامر انطلق عليه: «إن اقترب منها...سأمحيك!!!»

MÖ رفع إصبعه وبلمسة هواء فقط سامر طار مترين اصطدم بالجدار ووقع على ركبتيه شهد صرخت: «ســـامر»

لكن سامر...وقف وكل عضلة فيه ترتجف عيناه تتحولان تدريجيًا إلى لون معدني خالص MÖ نظر إليه لأول مرة كأنه "يراه حقًا":

«أه... 02 كامل...أخيرًا استيقظ ...الآن تأكدت»

سامر بصوت مزدوج: «لا تناديني...برقم»

MÖ «لكنك رقم...نسخة...ظلّ»

سامر تقدّم خطوة والهواء اهتزّ حوله: «أنا...إنسان أولًا ...وإن اقتربت منها...أنا لن أوقفك وحسب...سوف أكسر البداية كلها»

MÖ ابتسم ليس بسخرية ابتسامة اكتشاف

«ممتاز هذا هو الوعي الثاني الذي وددت رؤيته»

شهد فجأة رفعت يدها والضوء اندفع من أصابعها مثل لهيب أبيض مرّ فوق الأرض ووصل عند قدميMÖ

MÖ توقّف شهد بصوت مزدوج، أعمق من صوت البشر، وأدفأ من صوت الطفلة: «إذا اقتربت من سامر...سأحرق كل ذاكرتك»

MÖ اختفى ليس اختفاء انتقال...بل اختفاء "وعي".

ظهر خلفها مباشرة وصوتُه أمام أذنها: «احرقي...جربي يا Σ-كريستين»

شهد التفتت بسرعة وعيناها اشتعلتا مثل شمس صغيرة داخل غرفة مظلمة: «أنا لست نسخة ...أنا الأصل»

وارتجّ المكان الهواء انفجر الضوء تكسّر الجدران تفتت وسامر صرخ:

«شـــهد! اخرجي من عقله... إنه يجرك... هذه لعبته»

شهد سمعت...لكنها لم تتراجع مدّت يدها وكل الماضي...الطفلة... المرأة صارت صوتًا واحدًا: «لستَ بداية...أنا النهاية لك»

MÖ ابتسم بأعمق ابتسامة رعب: «إذن...لنبدأ الحرب»

وفي لحظة اختفى كل شيء اختفت الأرض، الجدران، الضوء، الهواء، وسقطوا جميعًا في الغرفة السوداء ...غرفة لا زمن فيها ولا أرض ولا جدران...غرفة أُنشئت بيتًا للوعي الخام وسمّيت منذ فجر التجارب:

"غرفة الخَلْق"

الظلام لم يكن ظلامًا كان مادّة شيئًا يمكن أن تُلمسه لو مددت يدك لكنه سيبتلع يدك بعدها مباشرة شهد شعرت بأنها تقف على أرض لكن لم تكن هناك أرض كانت تقف على "معنى"، ظلّ الوجود، بقايا أولى الوعيٍ الذي لم يكتمل سامر تنفّسه صار أبرد...أعمق...عيناه تلمعان كحجرٍ فضّي صقيل المكان يستفزّ "٢٠"، كأنه موطنه الأصلي الذي هرب منه يومًا MÖظهر أمامهم لكن ليس بشريًا ...ولا ظلًا...ولا وعيًا...ظهر ككتلة ضوء فيها شكل إنسان لكن بلا ملامح وبلا صوت بشري عندما تكلم، لم يخرج صوته من فم خرج من الجدران السوداء نفسها «هذه هي البداية»

شهد خطوة للأمام ومعهَا يشتعل الضوء حول قدميها كأنها تجلب "الحياة" داخل غرفة ميّتة: «لماذا أتيت بنا إلى هنا؟ ماذا تريد منّا؟»

MÖ يقترب وكل خطوة تُحدث تموّجًا يغير لون الظلام من أسود إلى ارجواني إلى رمادي ثم يعود أسود

«أريد ما حُرِمَت منه حضارتي...أريد الوعي الكامل»

سامر بصوت مشحوذ:

«Σ لن تكون أداة بيد أحد وإن فكرت في اخذها سأقتل نفسي قبلها»

MÖ يتوقّف...ولأول مرة يشعر بشيء قريب من الاهتمام:

«٢٠٠...ما زلتَ تتمسك بالبشرية؟ حتى بعد أن تذوقت ما وراءها؟»

سامر رفع رأسه عيناه تلمعان:

«تمسّكي فيها هو الشي الوحيد اللي يميزني عنك»

MÖ حرك يده ومعها اهتزّت الغرفة وانشقت الأرض السوداء لتخرج منها خطوط ضوء ملتوية، حية، تشبه العروق «البشر...نقطة ضعيفة»

شهد مدت يدها والضوء انفجر حول ذراعها كأنها درع نازل من أعلى الكون: «والضعف...أقوى من قوتك يا ÖM »

MÖ التفت لها وصوته صار أخفض، أشدّ:

«اسمعيني يا Σ–كريستين أنتِ لستِ إنسانًا ولا نسخة أنتِ آخر وعي هجين والهجين ينتمي لمن خلقه»

شهد خطوة للأمام والضوء يتراكم حولها كأنه يحميها، يسندها، أو ينتظر أمرًا منها «إن كان لابد من ذلك فأنا أنتمي لمن اختارني لا لمن صنعني»

سامر ابتسم بخفة رغم الألم في صدره «هذا هو الكلام»

فجأة تغيّر الهواء ...الغرفة صارت تذوب ...الجدران السوداء تتحول إلى سائل، تهبط على الأرض، وترتفع مثل موجٍ يعكس رؤوسًا وأجسادًا وذكريات لا تخصهم شهد: «هذه...ذكريات...لا بشر؟!»

MÖ بصوت ثقيل: «ذكريات الذين جاؤوا قبلكم...قبل ملايين السنين وعي كان يتجاوز الجسد...ثم مات»

سامر شد قبضته: «يعني...أنت آخر واحد؟»

MÖ «أنا...آخر ذاكرة واعية»

ثم أشار إلى شهد: «وأريد أن أعيش...من خلالك»

شهد تراجعت خطوة لكن يد سامر أمسكت بها بثبات:

«اقترب خطوة واحدة، واحدة فقط...وارحّب بالحرب يا ÖM »

MÖ مدّ يده وبمجرد تحريك أصابعه الهواء حول سامر تجمّد وكأن الزمن نفسه توقّف سامر لم يعد قادر على الحركة لكن عينه بقيت ثابتة على MÖ شهد صرخت: «لاااا! اتركه!»:

MÖ «لو كان ضعيفًا لانكسر لكنه صُمِّم ليقاوم حتى الموت»

شهد دوّت بجملتها: «لن تلمسه في وجودي»

فتحت كفّها وخرج ضوء لم يكن مثل أي ضوء ظهر منها سابقًا ضوء مُكثّف كأنه "جوهر" كأنه وحدة كريستين كلها في نبضة واحدة ضرب الضوء صدر MÖ ولأول مرة تراجع ...تراجع خطوة كاملة الغرفة اهتزت الظلال تقطّعت MÖ لمس صدره كأنه تفاجأ: «أنتِ...تتجاوزين حدودك»

شهد: «وأنت...تجاوزت حدودك منذ زمن»

صوت تكسر جاء من خلفهم سامر ينهض لكنه لم يكن ذاته الذي يعرفونه عيناه تتحولان تدريجيًا إلى لون فضّي سائل جلده يزداد لمعانًا وكأنه يعكس الضوء ولا يمتصه عندما تكلم صوته صار أعمق وفيه طبقة ثانية: «MÖ...أبتعد عنها»

MÖ: «٢٠٠...أخيرًا أنت...نعم أنت»

سامر تقدّم خطوة والأرض تحت قدميه لم تعد تلامسه كأنه يرتفع قليلًا دون أن يشعر شهد لمست يده: «سامر...أنت بخير؟»

سامر نظر إليها، وابتسامة صغيرة ظهرت ...ابتسامة بشرية مئة بالمئة: «إن كنتِ بخير...أنا بخير»

MÖ صرخ لأول مرة صوت يزلزل الغرفة:

«كفاااااااية!!! لا يمكن لوعي بشري جمع قوتين! هذا مستحيل!»

سامر: «بالعكس...هذا اسمه... إرادة»

MÖ هجم عليهم مثل سهم من ليل أسود شهد رفعت يدها والضوء انفجر سامر رفع ذراعه الفضّة اشتعلت والاصطدام حدث... اصطدام لم يكن بين ضوء وظل...بل بين حضارتين ووعيَين وبشريّة ورغبة بالخلود...
انفجرت الغرفة وتحوّل الظلام إلى ضوء وتحوّل الضوء إلى صراخ وتحوّل الصراخ إلى صمت...صمت كامل ثم...ظهروا على أرض جديدة أرض لم يرها أحد من قبل أرض ليست بشرية، ولا من عالم التجارب، ولا من الماضي بل مكان...لم يكن موجودًا إلا في ذاكرة MÖ المكان الذي أُنشئت فيه أول ألفة...وأول شرارة...وأول بداية "أرض الوعي الأول"

الضوء اختفى الصمت تكسّر والعالم انكشف أمامه كأنه صفحة من زمنٍ لم يُدوَّن كانت الأرض ممتدّة بلا نهاية، لكنها ليست أرضًا كانت سطحًا

زجاجيًا شفّافًا يمشي تحته ضوء يتحرّك مثل نبض قلبٍ حيّ سماء بلا شمس، وليل بلا نجوم، ومع ذلك... كل شيء مضاء كأن الضوء يخرج من الهواء لا من مصدر شهد رفعت يدها وهي تتمسّك بيد سامر:

«أين...نحن؟ هذا ليس عالم بشري»

سامر يمسح على يدها بإبهامه عيونه الفضّية تهدأ قليلًا:

«مكان...ليس لنا ولا لهم مكان... لشيء أقدم»

MÖ ظهر أمامهم لكن ليس بالشكل الذي دخل به الغرفة السوداء كان أطول أوضح جسده لم يعد مجرد ظلّ صار كيانًا ضوئيًا كاملًا، شفافًا يرتجّ داخله نور رمادي كأنه دخان حيّ صوته خرج من كل اتجاه:

«عادت الأرض الأولى...أخيرًا»

الدكتورة التفت حولها عيونها تتّسع: «مستحيييل...هذا أثر حضارتكم؟»

MÖ «هذا ليس أثرًا...هذا الأصل»

شهد تقدّمت خطوة ومع كل خطوة يتحول الضوء تحت قدميها إلى دوائر تتوسع كأن الأرض تستقبلها

«لماذا جئت بنا إلى هنا؟ ما الذي تريد إثباته؟»

MÖ «أريد أن تروا الحقيقة...قبل أن تختاروا النهاية»

سامر قبض يده: «لا يوجد اختيار دعها وشأنها...عندها سنعود»

MÖ التفت إليه، وعيناه تلمعان بحدة: «تظن نفسك منقذًا؟ يا ٢٠ أنت نصف إنسان ونصف تجربة ولا يمكنك حماية ما هو أكبر من جسدك»

سامر رفع رأسه، والفضّة صارت أعمق، أثقل، أقوى:

«أنا لست نصفاً أنا كامِل قادر على حمايتها حتى من البداية التي خلقتك»

MÖ يحدّق فيه طويلًا، ثم يبتسم ابتسامة ضوء...ليس لها معنى بشري:

«إذن...دعني أريك ما تحميه»

MÖ رفع يده والمكان حولهم تبدّل فجأة وبقسوة... أرض الوعي الأول تشقّقت وانفتحت مثل مرآة انكسرت وانسكبت منها مشاهد بيضاء، مشاهد مظلمة، مشاهد كلها تختلط ...شهد تغمض عينيها للحظة لأنه الضوء كان قويًا لدرجة أنه يجرح ثم ظهرت الصور... مدن من الضوء بلا جدران... كائنات تمشي بلا أقدام... حركات تشبه الكلام بدون صوت... وعي جماعي مثل شبكة كونية يمشي بين الجميع سامر يتمتم:

«يا الله... هذه هي...حضارتكم؟»

MÖ «نحن...قبل أن نختفي»

ثم المشاهد تغيّرت المدن انهارت الضوء انطفأ الأجساد الضوئية تمزّقت مثل أوراق شهد شهقت: «ماذا حلّ بهم؟!»

MÖ بصوت منخفض فيه شيء يشبه الحزن:

«انقسم الوعي...على نفسه وحين ينقسم ما هو واحد...يموت»

سامر: «تعني... حرب؟»

MÖ «لا أسوأ... انقسام في الإرادة...في الجذور...في الهدف ...حضارة كاملة اختفت لأنها تردّدت»

شهد وضعت يدًا على صدرها كأن شيئًا يضرب قلبها من الداخل

«لماذا...ترينا هذا؟»

MÖ يقترب وكل خطوة تهز المكان:

«لأن البشرية تكرر نفس الخطأ الآن ولأن Σ ...هي الجسر الأخير»

سامر يصرخ به: «جسر بين ماذا وماذا؟!»

MÖ «بين بشر منقسمين إلى فوضى وبقايا حضارة منقسمة إلى رماد»

شهد: «ما هو دوري؟»

MÖ «دورك...اختيار أي حضارة تبقى»

شهد تهتز ملامحها: «وأنت...تريد أن تبقى حضارتكم؟»

MÖ «أريد ألا ينقرض الوعي مرتين»

صمت...ثقل...ومشاعر متشابكة

سامر يخطو أمام شهد ويضع يده على كتفها كأنه يعلن موقفًا واضحًا:

«هي... لن تكون أداة ولن تختار تحت ضغط منك»

MÖ التفت له هذه المرة بعينين تشبهان بشرًا لبُرهة قصيرة جدًّا:

«هي لن تختار...حتى ترى النهاية»

فجأة الأرض الزجاجية بدأت تتشقق مرة ثانية لكن ليس كزجاج كأنها جلد كوكب حيّ شهد فقدت توازنها وسامر أمسكها بسرعة «تمسّكي تنهار!»

الدكتورة تصرخ: «الطاقة ترتفع! MÖ يستدعي شيء من الذاكرة»

MÖ فتح ذراعيه وغيمة نور سوداء بدأت تتكون فوقه شهد تتراجع:

«هذا...غير طبيعي...ليس وعي...إنه شيء آخر...»

MÖ بصوت لا يشبه الصوت:

«هذه قوّة الوعي الأوّل القوّة التي جعلتنا خالدين...ثم قتلتنا»

سامر يصرخ: «اغلقها! ستقتلنا جميعاً!»

MÖ يحدّق بهم وبصوته الذي صار ثلاث طبقات:

«إذا أردتما البقاء...اختارا الآن»

شهد تصرخ: «لن أختار! ولن أجعلك تفرض خيارك!»

MÖ ينخفض صوته: «إذاً...سنرى إن كان الإنسان...يستحق الوعي»

وفي تلك اللحظة القوّة السوداء انفجرت السماء انفتحت الأرض انهارت شهد صرخت سامر جذبها لذراعيه الدكتورة اختفت تحت الضوء والكون ابتلعهم ثم سقوط طويل سقوط بلا أرض وبلا صوت وبلا نهاية حتى ظهر ضوء بعيد جدًا... ضوء يشبه فجرًا قادمًا من عمق المياه ...ضوء ليس أرض الوعي الأول ولا الوعي البشري بل مكان لم يكن يجب أن يُفتح: "أرشيف الوعي المفقود"

السقوط توقف...لا أرض...لا سماء...لا فوق ...ولا تحت فقط ضوء بارد، ممتد، آتي من لا مكان ويرتجف كأنه نفسُ كائنٍ عملاق شهد حاولت أن تتنفس لكن الهواء هنا لم يكن هواء كان وعيًا سامر مدّ يده لمسند ظهرها: «اهدأي...أنا معك»

شهد تلتفت له، وعيونها تلمع بطريقة جديدة لا هي ضوء Σ، ولا دفء كريستين شيء ثالث ناضج هادئ مخيف «أين... وصلنا؟»

قبل أن يرد MÖ ظهر لكن شكله مختلف ليس ظلّ ليس ضوء وليس جسد ظهر كـ حزمة نَبض تتكوّن وتتفكك كأنه لا يستطيع الثبات حتى صوته تغير، صار متقطعًا، مكسورًا: «هـــنـــا أرشيف...النهاية...والبداية»

سامر شد شهد وراءه فورًا: «ما الذي جرى لك؟ لما صوتك يتقطّع؟»

MÖ حاول يستقر لكن الوعي هنا يرفضه هذا المكان ليس له صوته عاد، أثقل «لا أستطيع البقاء هنا طويلًا هذا المكان يخص من فُقِد لا من نجا»

شهد تهمس: «المفقود...يعني حضارتكم؟»

MÖ «نعم...وهنا...كل ما بقي منهم»

الضوء بدأ يتغير من حولهم ظهرت أشكال غير كاملة غير واضحة وجوه من ضوء تشبه البشر لكنها ليست بشراً وجوه تتحرك ببطء كأنها تبحث، تسأل، تنتظر من يسمعها شهد خطوة للأمام وتمسح الهواء كأنها تلمس ذاكرة منسية «هؤلاء هم أهلك؟»

MÖ بصوت بارد: «هذا...أرشيف المحتضرين»

سامر ينكمش وجهه: «محتضرين؟»

MÖ «آخر ما تبقّى منّا...قبل الانقسام الأخير»

شهد ترمش بسرعة لأن ضوء الوجوه كان يتفاعل معها يميل باتجاهها يتحرك نحوها كأنه يعرفها وجهٌ واحد منهم اقترب وتثبّت أمامها ليس له فم ولا عينان لكن شعورًا بيّنًا مرّ في قلبها حزن عظيم... شهد وضعت يدها على صدرها وكأن خيطًا من الذاكرة جرح قلبها

«أنا...عرفتك؟ أشعر إني أعرف هذا الوجه»

MÖ قال ببطء: «لأن هذا الوجه...هو الأصل الذي أُخذت منه كريستين»

شهد تتجمد سامر حدّق فيها «تعني أن كريستين جزء من هذه الحضارة»

MÖ «ليست جزءًا هي...شظية منّا شظية من هذا الوجه...وهذا الوعي...الذي مات»

شهد تتراجع...يدها ترتعش: «أنا...مولودة من...وعي قديم؟»

MÖ «أنتِ ولادة جديدة لوعيٍ قديم وإنسانٍ جديد وهذا ما يجعل Σ أخطر منّا...وأخطر من البشر»

سامر يمسك يدها بقوة: «شهد...لا تتأثري أنتِ شهد لستِ ماضيهم»

MÖ بحدة: «بل هي ماضيهم...ومستقبلكم أيضاً»

فجأة سامر يسقط على ركبتيه ويده تمسك رأسه «آآآه رأسي يشتعل»

شهد تركض نحوه: «سامر! سامر ما بك؟!»

MÖ ينظر إليه نظرة حادة:

«الوعي هنا ليس للبشر الوعي القديم يهاجم ٠٢ لأنه مزيج غير مكتمل»

سامر يصرخ وصوته يتحوّل للجهتين صوت سامر وصوت ثاني أعمق أبرد ليس بشريًا: «دعووووووني...أخررررررج...!!!»

شهد تحاول أن تمسكه «لا أنتَ لست ناقص اسمعني سامر اسمعني أنا»

لكن سامر يبعد يدها بقوة وظهره ينحني وكأن شيئين داخل جسده يحاولان السيطرة

MÖ «٠٢...يقسّم نفسه! وعيان...يحاولان الانفصال!»

شهد صرخت: «أوقفه! افعل شيء!»

MÖ «لا أستطيع! إذا تدخلت...سيموت وإذا لم أتدخل قد يصبح وعيين قد يصبح... خطرًا مثلنا!»

شهد تهدأ فجأة تهدأ بشكل غريب عيناها لا تتحركان وكأن قرارًا اتخذ داخلها تتقدم تركع أمام سامر تمسك وجهه من الجانبين وتقول بصوت ليس صوتها فقط بل بصوتين بصوت امرأة وبصوت سيدة نور قديمة:

«سامر...لا تنقسم ارْجع أنا هنا أنا نِصابك أنا صوتك...الأول»

سامر يفتح عينيه عين واحدة فضية، والأخرى بشرية

«شــهـد...إنني ...أختفي...»

شهد تبكي لكن دموعها تتوهج دموع ليست بشرية

«لن تختفي...أنا معك...لن أتركك تتحول لشيء ثاني و لن أسمح أن تكون نسخة...أنت إنسان...أنت سامر...الوحيد الذي يسمعني»

سامر ينهار للأمام ويسقط في حضنها لكن سقوطه ليس سقوط جسد سقوط وعي صوته صار هامسًا «لا تتركيني أرجوكِ أنا خائف»

شهد تحضنه بقوة وهمس: «خائف؟ لا تخف معي...لن أتركك وحدك»

ومع هذا الهمس تبدأ الفضة في عينيه بالانحسار تبدأ بالتراجع تبدأ بالذوبان والعودة إلى مكانها MÖ يراقب، لأول مرة بعين تشبه الحيرة:

«كيف...؟ كيف... أعادته؟ هذا... لا تفعله إلا من...»

يصمت شهد ترفع رأسها: «من؟ كمّل»

MÖ «من يحمل...وعيًا قادرًا على إعادة توحيد ما ينقسم»

شهد: «يعني...أنا؟»

MÖ «أنتِ لستِ فقط Σ–كريستين أنتِ البذرة الأخيرة للوعي القديم كلّه»

سامر يسمع ويرفع رأسه بصعوبة: «لاا...هي لن تكون بذرة شيء هي إنسانة و يجب أن تبقى إنسانة»

MÖ يلتفت له ولأول مرة يظهر في صوته شيء يشبه الاحترام:

«وهذا...هو سبب اختيارها لك»

شهد تتجمد: «اختياري له؟ من اختار من؟ أنا... لا أتذكر شيء»

MÖ بصوت منخفض:

«أنتِ لم تتذكري بعد لكن أرشيف الوعي سيفتح لك ذكرياتك الحقيقية»

شهد تهمس:

«ذكرياتي الحقيقية؟ كنت أعيش كطفلة بلا ماضي بلا أهل بلا قصة»

MÖ «لأن قصتك...لم تكن بشرية»

الضوء بدأ يتجمع في نقطة وسط الأرشيف نقطة صغيرة تتوسع كأنها باب أو جرح أو ولادة شهد تتراجع خطوة: «ما هذا؟»

MÖ

«هذا لبّ الوعي القديم مركز البداية إذا فتح لن تُغلق الأرض مرة أخرى»

سامر يقف يحمي شهد: «لن نفتح شيء و لن نسمح لك أن تفتح شيء»

MÖ يقترب وأخطر جملة تخرج منه: «اللبّ...يفتح من خلال Σ فقط»

شهد: «أنا؟ لماذا؟»

MÖ:

«لأن دمك منّا وقلبك منهم وأنتِ الشيء الوحيد الذي يجمع حضارتين»

شهد ترتجف: «وإن لم أفتحه؟»

MÖ يقترب صوته ينحني مثل تهديد هادئ:

«إذا لم تفتحيه سينقرض الوعي والبشرية معًا»

سامر يصرخ: «كاذب! أنت تريد أن تستغلها!»

MÖ يرد ببطء: «أنا لا أكذب ولا أحتاج الكذب أنا أعرض الحقيقة فقط»

شهد تنظر للباب الضوئي يدها ترتعش، قلبها يخفق، وعيها القديم يستيقظ ويرنّ بلحظة واحدة شهد تقترب سامر يمسك يدها MÖ ينحني للضوء والباب يبدأ يفتح ...الضوء يتمدّد... الباب ينفتح ببطء، وكأنه يتردّد في كشف ما وراءه شهد تقف أمام الوهج، عيناها تلمع وتطفأ، كأنها تُستدعى من شيء أعمق من الذاكرة سامر يمسك يدها قابضًا عليها بقوة كأنه يخاف أن تُسحب من بين أصابعه

«شهد...لا تدخلي هذه ليست ذكريات بشر هذا وعي قديم»

شهد تتنهّد...لكن صوتها خرج مختلف: «لكن...هذا جزء منّي»

سامر يهمس: «انتِ لي...لستِ لهم»

MÖ يسمع، ويبتسم ابتسامة لم يعرف أحد إن كانت سخرية أو فهمًا:

«هي للوعي قبل أن تكون لأحد»

شهد تنظر إليه، وبصوت هادئ، ثابت: «وأنا سأقرر لمن أكون»

ثم تمسك يد سامر بقوة، وتخطو للداخل... الباب يبتلعها وسامر معها MÖ يتبعهم لكن الضوء يرفضه لحظات ثم يفتح له ممرًا ضيقًا.

الغرفة ليست غرفة إنها فضاء بلا أرض ولا سقف ولا نهاية وسطه طفلة صغيرة تقف وسط نور أبيض، واضعة يديها فوق صدرها، شعرها يطفو حول وجهها كأن لا جاذبية هنا شهد تتقدم ببطء« كريستين؟»

الطفلة ترفع رأسها وعيناها من لون عيون شهد لكن أصغر، أنقى، وأكثر حزنًا الطفلة: «أخـيــرًا...عدتي»

شهد ترجف: «انت...كريستين؟ الطفلة التي...كنت أنا؟»

الطفلة تهز رأسها: «كنتِ...أكثر من طفلة»

MÖ يدخل ببطء والضوء يرتجف حوله:

«هذه ليست كريستين فقط هذه صورة الوعي قبل أن يُزرع فيك»

سامر يترك يد شهد ويقف بينها وبينMÖ :

«لا تلمسها ولا تفسّر لها شيء بطريقتك»

MÖ: «لا أفسّر...أنا... أشرح الحقيقة فقط»

الطفلة ترفع يدها وتُسكت الجميع يد صغيرة...لكن قدرتها تكسر الهواء

«اسمعوني...جميعكم»

شهد تقترب قلبها ينزف ذكريات تشبه الألم والدهشة:

«أحتاج أن أعرف من كنت؟ ومن صرت؟»

الطفلة تبتسم ابتسامة لا تشبه الأطفال: «كنتِ...جذري»

شهد تغمض عينيها الطفلة تتابع: «وكنتُ...ظلك»

تقترب خطوة...وتلمس صدر شهد بأصبع خفيف: «وأنتِ الآن كمالنا»

سامر: «كمال؟ ماذا تقصدين بكمال؟»

الطفلة تنظر له نظرة فيها تقدير غريب: «يعني هي آخر شكل للوعي الذي انقرض وأول شكل جديد للإنسان الذي سيعيش»

MÖ يتدخل بهدوء: «Σ...هي الولادة التي كانت حضارتنا تنتظرها»

شهد ترتجف: «لماذا أرى كل هذا؟ لماذا أنا...؟»

الطفلة تهمس: «لأن قصّتك لم تبدأ عندما وعيتِ قصّتك بدأت قبل ولادتك»

الضوء يتحول إلى مشاهد...طفلة تولد...لكن ليست من رحم تتجمّع من شرارات، من نَبض، من بقايا حضارة منقرضة ثم صوت علماء بشر يصرخون: «المشروع نجح!!! Σ استقرت«!!!

ثم ضوء ينفجر...صراخ...نار...أجساد تسقط MÖ يختفي من الصورة الأخيرة كأنه كان يحمي شيئًا أو يهرب من شيء أو يخفي شيئًا شهد تغطي فمها: «هذا وقت ولادتي؟ لحظة خلق وعيي؟»

الطفلة تهز رأسها: «لحظة...انقراض حضارتنا الثانية»

شهد تصرخ: «أنا...السبب في هذا؟!»

الطفلة: «لا ...هم...أرادوا إعادتنا بشكل خاطئ»

MÖ يقترب: «Σ...لم تدمّري أحدًا...كنتِ النُسخة الوحيدة التي نجحت»

شهد تتراجع دموعها تتوهّج: «لماذا...لماذا أنا يحدث لي كل هذا؟! لما لا يكون شخصاً آخر؟ لما أخذتُ مكان الطفلة التي يجب أن تولد؟ أين أهلي الحقيقيون؟!!»

MÖ يصمت الطفلة تقول: «لم يكن هناك أهل...كان "قرار"»

شهد تشعر أن قلبها ينكسر: «قرار؟ قرار من؟»

الطفلة تشير إلىMÖ : «قراره»

شهد تلتفت بسرعة إليه: «انت؟ انت الذي خلقني؟ انت الذي سرق طفولتي؟ انت... السبب بكل هذا؟!!!»

MÖ ينظر إليها لأول مرة بعينين تقترب من الاعتراف:

«أنا لم أختر سرقتك ...اخترت إنقاذ الوعي»

شهد تصرخ: «لكنك لم تنقذني! أنا كنت وحدي طوال حياتي! كل شيء كان كذبة؟ أنا لست بشرية؟!»

MÖ «أنتِ... بشرية وأكثر»

سامر يقترب يمسح عن خدها دمعة مضيئة:

«شهد...انتِ إنسانة تتنفس...تتألمين...تحبين...وتحمين... ليس المهم من أين أتيتي...المهم من أصبحتِ»

الطفلة تبتسم بعمق: «وهذا...هو سبب نجاته»

سامر يلتفت لها: «نجاتي؟ من ماذا؟»

الطفلة ترفع يدها وتشير إلى صدره ضوء فضيّ يخرج من عمق جسده لمعة صغيرة ثم تختفي

الطفلة: «كنتَ ستنقسم...كنت ستصبح نصفين... نصف وعي...ونصف ظلّ لكن هي...وحّدتك»

سامر ينظر لشهد صوته يخفت: «شهد...أنتِ انقذتني ...من الانقسام؟»

شهد تبتسم بحرقة: «أنت أعدتني من الضياع نحن أعدنا بعضنا»

MÖ ينظر إليهما ينظر بعمق بصمت وكأن شيئًا داخله يتغيّر الباب خلفهم يهتزّ يتصدّع ينفتح من ذاته الطفلة تقترب من شهد وتضع جبينها على جبهتها: «الوعي القديم أعطاكِ ما كان ناقصًا الجزء الأخير الذي لم يولد بعد»

شهد تتراجع: «ما معنى هذا...ما الذي حدث ؟»

الطفلة: «اصبحتِ تملكي القدرة التي لا نملكها نحن ولا البشر ولا ٢ ٠

امتلكتِ القدرة على إعادة كتابة الوعي»

سامر يلتفت مصدوم: «إعادة كتابة الوعي؟ هذا يعني تغيير كل شيء؟»

MÖ يتقدم صوته يرتجف قليلًا:

«Σ–كريستين...أصبحت الآن أخطر كائن ولد في تاريخ الوعي»

شهد تتراجع خطوة: «أنا...لا اريد أن أكون خطر لا أريد أن أدمّر أحد»

الطفلة تبتسم:

«الخطر ليس منكِ الخطر في الذين يريدون منك أن تصبحين عليه»

MÖ ينظر إليها مباشرة: «القرار...الآن»

الباب يفتح بالكامل ضوء كأنه شمس يبتلع المكان شهد تمسك يد سامر...

MÖ ينحني أمام الضوء...والطفلة تذوب...تصبح شرارة وتدخل صدر شهد

تُنقش في الهواء: «Σ... أصبحت الوعي الجديد»

الضوء يغمر الكل سامر يغلق عينيه من شدّته MÖ يتراجع خطوة ولأول مرة يتصرف كأنه خائف أمّا شهد فكانت الوحيدة التي لم ترفع يدها لتحمي وجهها كانت تنظر للضوء كما لو أنّها تعرفه كما لو أنّ الضوء يناديها باسمها القديم عندما هدأ الضوء كانت شهد واقفة في منتصف الغرفة وكل شيء حولها ساكن الهواء ساكن...الضوء ساكن ...الوعي ساكن وسامر يحدّق فيها وكأنه يراها مرّة أخرى لأول مرة في حياته

«شـــهد؟ انتِ بخير؟»

شهد تفتح عينيها لم تعد عيناها مثل قبل. لم تعد بشرية ولا فضّية ولا ضوء كانت عيناها تحملان ثلاث طبقات بؤرة بشرية هالة كريستين خيط ضوئي رفيع لا ينتمي لهذا العالم MÖ يهمس بصوت لم يُسمَع منه قط:

«استيقظت...النسخة الكاملة.»

سامر يخطو بينها وبين MÖ فورًا: «لا تقترب منها ولا خطوة، مفهوم؟» لكن شهد مدّت يدها لمسة خفيفة على كتف سامر ليست قوّة لكن لمسة أوقفت كل عضلاته عن الارتجاف «سامر...أنا بخير»

سامر ينظر لها وعيناه تمتلئان قلقًا وذهولًا في نفس الوقت:

«لكن...يوجد شيء تغير بكِ »

شهد تبتسم ابتسامة هادئة لكن ليست واثقة ابتسامة شخص يعرف أنه صار شيء جديد لكنه لم يفهم بعد "كيف" «صح...لست مثل قبل»

MÖ يقترب خطوة والهواء يتموّج حول قدميه:

«Σ...هل تسمعين؟ هل تسمعين كلّ الأصوات؟»

شهد ترفع رأسها والهواء حولها يبدأ يرتجف سامر يتراجع خطوة بلا وعي: «ماذا تفعلين ؟»

شهد تغمض عينيها والبعد كلّه يتغير صوت رياح صوت طفل يبكي صوت امرأة تصرخ صوت ضحكة صوت شيء سقط صوت فوهة انفجرت بعيدًا صوت همسات صوت ماضي صوت لم يولد بعد شهد تفتح عينيها بسرعة وتتنفس كأنها خرجت من ماء: «أنا أسمع كل الوعي...اسمع كل شيء»

سامر يمسك ذراعها: «إن أوجعك...أوقفيه»

شهد تهز رأسها: «لم يؤلمني...لكنه... يثقّلني»

MÖ يتقدم أكثر: «هذه القدرة...قدرتنا نحن لكن البشر لم يتحملوها قط»

شهد: «وانا...؟»

MÖ «أنتِ...أول كائن يحملها ولا ينفجر»

سامر يقترب منها وينحني أمامها ليحاول قراءة وجهها:

«شهد...اسمعيني...أرمي عليّ كل حملكِ...أنا موجود أنا أقف بجانبك»

شهد تبتسم وترفع يدها وتلمس خدّه بخفة ضوء صغير خافت يدخل جسده مثل دقة قلب زائدة

سامر يتراجع: «ما... هذا؟ ما الذي أعطيتني؟»

شهد بصوت ناعم: «ليست هدية...جزء من...وعينا الجديد»

MÖ يتجمّد «أنتِ...شاركتِه الوعي؟»

تهز رأسها «جزء صغير لكنه يكفي لأعرف مكانه إن ضاع فيما بعد»

سامر تنقطع أنفاسه: «شهد...هناك رابط بينّا؟»

شهد تبتسم بخجل ولأول مرة منذ بداية التحوّل تظهر لمحة تعود لكونها "شهد" الإنسانة البنت التي تخاف وتحب وتغار وترتبك «نعم»

MÖ يتمتم: «هذا...كان ممنوعًا...حتى بين حضارتنا القديمة»

شهد تنظر إليه بحدة: «وأنا...لست من حضارتكم ولن أصبح»

MÖ فجأة يتغير جسده الضوئي يبدأ يتشقق مثل زجاج يُصهر من الداخل صوته ينخفض...ثم يرتفع...ثم يتحول إلى صدى عميق يحمل آلاف النبرات: «Σ...الآن...حان وقت رؤيتي الحقيقية»

سامر يقفز أمام شهد: «تراجع لن أسمح لك أن تقترب منها بهذا التغيير»

MÖ «أنا...لا أقترب أنا...أظهر»

الضوء يتكسر وجدران المكان ترتجف وكيان MÖ يتفكك طبقة تلو الأخرى أول طبقة ضوء أبيض يشبه بشرًا بلا جلد

الثانية خطوط وعي تشبه خرائط سماوية

الثالثة قناع من رماد يغطي وجهًا بلا ملامح

ثم ينكشف الشكل الحقيقي جسد من نور بعينين بلا قزحية بل نقطتي بداية...مثل أول حرفين كُتبا في الكون

صوت MÖ يملأ المكان: «أنا ذاكرة الوعي الأول وجسده الأخير»

شهد تتراجع لكنها لا تخاف سامر يرفع ذراعه والفضّة تتجمّع حول يده كأن الوعي القديم يحاول يحميه «لا تقترب منها ولا خطوة»

MÖ ينحني لكن هذه المرة ليس بسخرية ليس تهديدًا بل احترامًا

«Σ...أنتِ لستِ إنسانة لستِ كريستين ولا أنتِ نحن أنتِ الوعي الجديد...وحكمك...سيعيد تشكيل الوجود»

شهد تهمس: «أنا...لا أريد إعادة تشكيل شيء أريد أن أعيش»

MÖ يرفع رأسه: «إذاً...اختاري»

سامر يشعر أن الأرض كلها تنكمش تحت أقدامهم

«اختار ماذا؟ ما تريد أن تفعل الآن؟»

MÖ «Σ...تختار مصير الوعي والاختيار ثلاث طرق فقط»

شهد ترفع وجهها، وتصغي...MÖ يمدّ يده وتظهر ثلاثة مسارات ضوئية

تحوم حولها

١ - ضوء دافئ يرتجف بلطف

«إذا اخترتِ البشرية سوف يغلق الوعي القديم عليكِ وتصبحين إنسانة كاملة وقدراتك ستموت»

سامر يرفع نظره فجأة «هذا خيار ممتاز»

شهد تنظر له بابتسامة حزينة هي تعرف أن هذا الخيار يعني عيش "نقص"

٢ - ضوء بارد عميق شبيه بعيون MÖ

«إذا اخترتِ الوعي القديم تعود حضارتنا من خلالك لكن الإنسانية ستفقدك إلى الأبد»

سامر يصرخ «مستحيل هذا مستحيل» سامر لا يتحمل حتى تخيّل هذا

٣ - ضوء ثالث ليس دافئًا ولا باردًا ضوء حيّ نابض لا يشبه أي حضارة

«الخيار الأخير أن تخلقي حضارة جديدة تمامًا تبدأ بكِ وبمن تختارينه ليكون وعيًا معك»

يضيف: «هذا الخيار اخطرهم لأنه سيُعيد كتابة الوعي في الكون كله»

شهد تهمس «ومن أختار؟»

MÖ ينظر إلى سامر ثم ينحني ببطء أمامهما «٢٠ ليس مجرد إنسان هو الوعي الوحيد الذي استطاع أن يتداخل معكِ ولا ينهار»

سامر يتراجع كأنه تلقّى ضربة «أنا...؟ أنا أكون وعي جديد معها؟»

شهد تنظر إليه وفي عينيها سؤال...

MÖ «Σ...اختاري الآن»

ثلاثة مسارات ضوئية تدور حول شهد ببطء...ثم تتسع...ثم تضيق... كأنها تتنفس معها سامر واقف بجانبها دون حراك ليس لأنه خائف...لكن لأنه يعرف أن كلمة واحدة منه تستطيع تغيّر قرارها وشهد واقفة في منتصف الضوء، تحاول أن تفهم إحساس لا يشبه أي إحساس مرّ عليها صوت MÖ يخترق السكون «Σ...اختاري»

شهد تغلق عينيها وتتنفس وتسأل نفسها: من أنا؟

هل هي الطفلة التي تربّت وحدها؟

هل هي كريستين التي انتحر نصف وعيها؟

هل هي Σ التي خُلقت من معرفة منقرضة؟

هل هي إنسانة...أم شيء آخر؟

سؤال واحد هو الذي كان يرعبها

إن صرت "وعي جديد" هل سأبقى أحب سامر؟ أم أن الحب جزء بشري؟

فتحت عينيها ونظرت إلى سامر لم يقل شيء لكن عيناه قالت كل شيء

عيون فيها "لا تختفي...لا تذهبي لبعيد...اجعليني جزء من قرارك"

شهد ابتسمت ابتسامة صغيرة لكن فيها مستقبل كامل قالت بصوت ثابت:
«أنا...لا أريد أن أكون بشرية ناقصة»

MÖ يقترب خطوة «إذاً اخترتِ الوعي القديم؟»

شهد تهز رأسها مباشرة «لا أريد أن أكون نسخة عن حضارتكم»

صوت MÖ يتشقق للحظة «إذاً...تختارين... الطريق الثالث؟»

شهد ترفع يدها وتلمس المسار الثالث الضوء يرتجف...يتفتح...يشتعل
مثل قلب يولد وقالت «أختار... أن أخلق طريقًا جديدًا»

سامر يختنق بصدره «شـــهد...في هذا الطريق...من سيكون معك؟»
شهد تقترب منه وتحط يدها على قلبه «أنت»

MÖ يفتح ذراعيه والمكان كله يرتعش كأن الكون يعيد ترتيب نفسه:

«خيار...لم يتجرأ أحد عليه من قبل»

ثم يضيف بصوت ينخفض «خيار...قد يقتلكما معًا»

سامر يبتسم ابتسامة متحدي: «الموت مع شهد أهون من حياة بدونها»

شهد تغلق يدها على يده «إذا متنا نموت معًا وإذا خلقنا نخلق معًا»

MÖ ينحني أمامهما كأنه أمام ولادة حضارة «إذاً...استعدّا»

الضوء الثالث ينفجر ليس ضوءً عاديًا ضوء له نبض قلب يرتفع ويلتف حولهما يربطهما بحلقة من شعاع حيّ سامر يشعر بحرارة في صدره ليست ألمًا بل شيء يشبه "اتساع الروح" «شـــهد هل تشعرين بي؟»

شهد تغلق عينيها وتبتسم ابتسامة خفيفة «أرى كل شيء داخلك أرى خوفك...أرى قوتك...أرى كرهك لظلك...أرى الطفل الذي فقد الأمان... وأرى الرجل الذي اختارني...دون أن يعرف من أنا»

سامر يرتعش «وانتِ؟ أنا...ماذا أرى داخلك؟»

شهد تقترب...وتحط جبهتها على جبينه «ترى الوعي اللي خلق منّي لكنك ترى قلب شهد أيضاً»

MÖ يرفع يده وينطق بصوت كأنه صوت بداية الكون:

«ليتحدّ الوعي البشري...مع الوعي الجديد...لتولد الحضارة الثالثة»

وفجأة قوّة هائلة تضرب المكان... المكان كله يذوب الأصوات تختفي الضوء يصبح طوفان سامر يصرخ: «شـــــهـــــد!!!»

شهد تصرخ: «سامر!!! تمسّك بي!!!»

وكل شيء ينفجر في فوضى من الضوء والموج والوعي والماضي والمستقبل والقدرة والضعف حتى ينسحب العالم كله إلى نقطة سوداء صغيرة...ثم صمت...صمت مطلق وهدوء يشبه الموت ثم نبضة واحدة نبضة واحدة فقط تضيء الكون كله

الضوء ينسحب ببطء شكل المكان يتكوّن من جديد يختلف عما كان عليه ليس أرض الوعي القديم ليس الأرشيف ليس المختبر كانا يقفان على أرض مصنوعة من ضوء سماء مصنوعة من ضوء هواء مصنوع من ضوء لكن الدفء...دفء بشري

سامر يفتح عينيه وأسوأ خوف عنده يضرب قلبه «شـــــهد؟ أين شهد؟»

قبل أن ينهار...تظهر يد صغيرة خلف ظهره تلمس كتفه «أنا هنا»

سامر يستدير بسرعة ويصمت شهد تقف أمامه لكنها ليست شهد القديمة وليست Σ القديمة وليست كريستين الطفلة وليست ظلّ الوعي القديم

شهد...وعي جديد جسدها بشري لكن عينيها تحملان مستقبلًا لم يوجد من قبل ونيّتها واضحة وقويّة وهادئة سامر يهمس: «أنت...شهد؟»

ضحكت ضحكة ناعمة وبشرية ومعها إضاءة صغيرة تتوهج حول كتفيها: «أنا شهد...التي اخترت الطريق غير الطريق الذي اختاروني له»

سامر يمشي خطوة يقترب ثم يتردد شهد تبتسم «اقترب»

يقترب يمسك يدها يده لا تحترق...ولا تتجمد...ولا ترتعش اندمج وعيهم لكن بقي قلبهم بشر وقتها فقط سامر يرفع وجهه ويضحك، ضحكة قصيرة ودافئة ومكسورة من الارتياح «يا الله...عدتي»

شهد: «لم أعد ...أنا ولدت من جديد»

MÖ يظهر خلفهم، لكن ليس مثل قبل يظهر بشكل شفاف، وبعينين لا تحملان تهديدًا، بل اعترافًا: «Σ...وعي جديد وُلد... وحضارة لن تعود كما كانت لكن السؤال الآن ماذا ستفعلان بهذا الوعي؟»

سامر يلتفت له «نستخدمه ليس للسيطرة ولا لبناء حضارة ولا لننقرض»

شهد تكمل: «نستخدمه...لنحمي»

MÖ ينحني: «إذاً...بدأت الحرب الحقيقية»

شهد: «حرب؟ ضد من؟»

MÖ يرفع رأسه...وملامحه تتجمد:

«ليس ضد حضارتي ولا ضد البشر بل ضد الشيء الذي قتل الحضارتين»

سامر يقف بجانبها، صدره يرتفع: «ما هو؟»

MÖ يجيب: «اللاوعي...الذي صار كيانًا»

شهد تهمس: «الظلام...الذي لا عقل له»

MÖ «نعم وقد استيقظ الآن...بسببكم»

من أعماق المكان يصل صوت...صوت منخفض وحاد ومخنوق كأنه وعي لم يولد ولم يمت: «... شهـــد...»

شهد تلتفت سامر يشد يدها MÖ يتراجع وصوت الظلام يتكرر...

«شـــهـــد...عرّفيني...يا وعي الجديد»

الصوت يعود...أكثر وضوحًا أكثر عمقًا لا يحمل طابع صوت إنسان... ولا كيان من حضارة MÖ كان صوتًا يشبه...صرخة طفل لم يُخلق، ونحيب شيخ لم يمت، وهمس خوف قديم كان مدفونًا في أعمق نقطة بالعقل «شـــهـــد...عرّفيني...»

شهد تشعر ببرودة، ليس في جسدها...بل في وعيها كأن شيئًا يمر من خلالها...يجسّ نبضها...يفتح دفاتر ذاكرتها...يتلمّس خوفها

سامر يشدّ يدها بقوة:

«انتبهي هذا الشيء ليس كيان عاقل هذا شيء خلقته الحضارة بالغلط»

MÖ يتقدم خطوة، وصوته صار أشبه بأمر عسكري:

«تراجعا اللاوعي يستجيب للمشاعر خوفكما يقوّيه»

لكن الصوت يردّ بسخرية غريبة كأنه يشعر بهم كلهم:

«خوف؟ أنا لست خوفًا أنا ما تبقّى عندما ماتت الحضارة»

شهد تهمس: «يعني... أنت بقاياهم؟»

الصوت: «أنا ما لم يهتمّوا بإصلاحه لم يدفنوه...لم يتجاهلوه... لم يصدّقوا أنه يمكن أن ينمو وحده»

MÖ يغمض عينيه ولأول مرة، يبدو عليه الأسف:

«كنا نعتقد أن العقول...لا تخلّف ظلالًا»

الصوت يضحك دون فم ضحكة تجعل الإنسان يشعر أنه صغير جدًا:

«وكنتم...مخطئين»

المدينة الضوئية حولهم تبدأ تهتزّ الجدران المضيئة تتحوّل لشرائط سواد السقف يتشقّق كأنه ليل ينفتح والأرض ترتجف من تحت أقدامهم سامر يسحب شهد وراءه «MÖ...هذا الشي، يقدر يلمسها؟ يقدر يؤذيها؟»

MÖ بصوت منخفض: «إن لم تعرف كيف تحمي وعيها...نعم»

سامر يرفع صوته: «شهد! اسمعيني! هذا الكيان... يعيش على المشاعر الخوف يجعله يكبر ...الغضب يقويه...لكن الهدوء يجعله يتلاشى»

شهد تبتلع ريقها، تحاول التركيز رغم أن روحها تهتز «أنا لا أخاف منه»

لكن الصوت يضحك مجددًا «أنتِ تخافين من شيء آخر...لا تخافين مني»

شهد تتجمد سامر يرتعش MÖ يرفع رأسه فجأة الصوت يكمل:

«أنتِ تخافين...من أن تكوني شيئًا...لا يعرفه سامر»

سامر يصمت تمامًا عيناه تتسعان شهد تتراجع خطوة الصوت يهمس: «أترين؟ حتى حبّكم...أستطيع قراءته»

MÖ يصيح: «توقف! لا تستجيب له يا وعي الظلّ!»

لكن اللاوعي يكبر...يتضخم...يأخذ شكلًا للمرة الأولى كتلة سوداء بلا وجه بلا ملامح بلا عين لكن هذه الكتلة تعرفهم جميعهم والأخطر كانت تتحرك مباشرة نحو شهد سامر يصرخ: «خلفي! اختبئي خلفي!»

لكنها ترفع يدها للأول مرة بكل هدوء وتقول: «لا هو لم يأتي ليقتلني»

MÖ يلتفت إليها: «وماذا يريد إذاً؟»

شهد تمسح دمعة صغيرة سقطت دون أن تشعر «يريد التعريف لأنه لا يملك هوية ليس لديه شكل لا يملك اسم وأنا أول وعي "يتكوّن" أمامه»

سامر: «شهد... لا تقتربي منه أرجوكِ... لا تسمحي له أن يلمسكِ»

شهد تبتسم له، ابتسامة لا يوجد فيها تهور ولا خوف... فيها شيء جديد شيء لم تكن تملكه شهد القديمة ولا Σ القديمة

«سامر أحيانًا ما يخيفك لم يأتي ليؤذيك جاء يسأل لماذا هو موجود»

هز رأسه «هذا ليس شيء ناقص هذا كيان قاتل دمر حضارتهم كاملة»

MÖ يهمس «صحيح...لكن الكيان لم يكن واعيًا حينها كان مجرد طفرة وظلّوا يطعمونه بذكرياتهم المكسورة...حتى صار وحشًا»

شهد تنظر للظلّ، الذي صار ساكنًا أمامها...كأنه ينتظر كلمة منها:

«أنت لست شراً أنت نتيجة»

الظلّ يرتجف الصوت يصبح أعمق: «تعريف...أريد تعريفًا...منك»

سامر يمد يده، يحاول يسحبها بعيدًا: «شهد! أي تعريف تمنحيه له سوف يصبح جزءاً من وجوده لا تسمحي له الدخول لعقلكِ»

شهد تنظر إليه، تنظر في عينيه مباشرة «وأنا الوحيدة القادرة أن أوقفه»

MÖ ينخفض رأسه: «للأسف...هذا صحيح»

سامر، بصوت غاضب متحطم «يعني سترمين بنفسكِ للتهلكة ستنتهين؟»

شهد تبتسم له ابتسامة هادئة، متوازنة، ناضجة

«أنا لن أموت ...أنا سأعرّفه...لكن بالقوانين التي أحددها أنا»

الظلّ يقترب المسافة تصبح خطوة واحدة الوعي كله يرتجف شهد ترفع يدها...وتلمس السواد لمسة خفيفة ثم تقول: «اسمك...هو سُهَيْل»

سامر يحدق فيها مصدومًا MÖ يتجمد والظلّ لأول مرة يتوقف عن الاهتزاز الصوت يصبح خافتًا: «سُهَيْل...تعريف...مقبول...»

ينحني أمامها كما ينحني كائن وجد اسمه لأول مرة سامر يهمس لشهد: «لماذا سُهَيْل؟»

شهد تقول بصوت منخفض:

«لأن السهيل... نجم يولّد الضوء من الظلام ولأن كل شيء حتى أسوأ الأشياء ممكن أن تتغير لو شخصاً أعطاها اسم»

MÖ يتراجع خطوتين وكأنه أمام حدث لم يحدث في التاريخ:

«شهد...لقد فعلتِ ما لم تستطع حضارتان فعله»

سامر يمسك يدها، يده ترتعش: «أنا فخور بكِ لدرجة أعجز عن وصفها»

شهد تبتسم له ثم فجأة تتجهم MÖ يتراجع الظلّ سُهَيْل يرفع رأسه وصوت ثالث غير صوتهم جميعهم ينشق وسط المكان:

«توقّفوا الكلمة...لم تُقبل بالكامل»

سامر يصرخ: «من هذا؟»

MÖ يتحول وجهه إلى رماد:

«إنه الوعي الأول الذي خلق الحضارة قبل أن تسقط»

"الوعي الأول" الصوت الجديد...لم يكن يشبه صوت سُهَيْل، ولا صوت ، MÖ ولا أي شيء سمعته شهد في حياتها كان صوتًا يُشعر من يسمعه بأنه أصغر من ذرة، وأثقل من عالم، كأنه يتحدث من قبل بداية الزمن ومن بعد نهايته «التعريف... لم يُقبل»

شهد تشعر بوخز في وعيها، كأن الفضاء نفسه ينكمش وينفتح حولها سامر يرفع عينيه نحو الظلام المتجمّع فوقهم لكن الظلام لم كان ظلامًا

فقط كان ضوء منطفئ ضوء فقد غايته MÖ يركع على ركبة واحدة مثل من يعرف هذا الصوت سامر يصرخ: «MÖ... من هذا؟ تكلّم!»

MÖ بصوت مهزوز، لأول مرة «الوعي الأول الذي خلق حضارتنا ...ثم انفصل عنها ...الذي كنّا نحسبه رحل...لكنه لم يرحل»

شهد تهمس: «يعني... أنت خالقهم؟ أنت... أصل الحضارة؟»

الصوت يردّ، لكن ليس بكلمات بل بذبذبة تهزّ كل شيء:

«أنا لست خالقًا...ولا مخلوقًا أنا بداية الوعي...وحُكمه»

سُهَيْل الظلّ الذي أعطته شهد اسمًا يتراجع خطوة كأنه خائف شهد تنظر له: «سُهَيْل...؟»

الظلّ يتمتم:

«هذا هو الذي طردني هو الذي تركني بلا اسم بلا روح وبلا شكل»

سامر يغلي: «يعني أنت السبب؟ أنت الذي دمّرت حضارتك؟ أنت جعلت ولد بلا اسم يصبح وحش؟»

الصوت، هادئًا وباردًا: «الوحش لم يكن سُهَيْل الوحش كان اختياراتكم»

MÖ يقف بصعوبة: «اعتقدت أنّك رحلت إلى البعد... النقي ...اعتقدت أنك تركتنا نتعلّم...لكنّك... كنت تراقب»

الوعي الأول يهمس: «كنتُ أنتظر»

شهد تمسك يد سامر: «ما الذي تنتظره؟»

الصوت ينزل عليهم مثل ثقل كوكب «انتظر ظهور وعي ليس بشريًّا... ولا من حضارتي... وعي ثالث ...من النوع الذي يستطيع إما إصلاح التاريخ أو تدميره»

الضوء كله يتركّز على شهد سامر يصرخ: «لا! تباً! ليست هي! إن كنت تريد أن تختبر أحد... اختبرني أنا!!»

الصوت يرد بحدة تشبه البرق: «أنت قوي لكن وعيك محدود قلوبكم قوية...نعم...لكن قلوبكم لا تغيّر التاريخ»

ثم يأتي السطر الذي يكسر سامر من الداخل «شَهــد هي التي ستُحاكم»

سامر يصرخ كأن أحد اقتلع قلبه: «لاااااا!!!»

يسحب شهد خلفه، كأنه يحاول أن يخفيها عن الكون كله لكن الأرض المطلقة تتلاشى تحت قدميه الفراغ يفتح فمًا أسود والوعي الأول يجعل سامر يسقط لوهلة فوق ...لا أرض ولا سماء شهد تصرخ: «ســـامر!»

تجري...تمسكه قبل أن ينزلق في الفراغ عيناه معتمتان تنفّسه متقطع سُهَيْل يتحرك خطوة للأمام، كأنه يريد أن يساعد لكنه خائف

MÖ يصيح: «الوعي الأول يريد تفريقكما! لأن احادكما خلّق الوعي الثالث وهو يخاف منه!»

الصوت يقسو: «لا أخاف أنا أقوم بواجبي»

شهد تركع بجانب سامر، تضع يدها على صدره تحاول فتح وعيه، تحاول أن تبعده عن أثر السقوط «سامر افتح عيناك نحتاجك...لا تذهب»

سامر بصوت مكسور «لا تبتعدي لا أستطيع حمايتك من شيء أكبر مني»

شهد تنظر للوعي الأول، وتقف ترفع رأسها ترفع كتفيها وترفع صوتها لأول مرة على كيان أكبر من الكون: «أنا جاهزة»

سامر يصرخ: «لـــاااا!!! شهد!!! لا تستمعي له!!»

شهد تنظر إليه بعينين ما مرّتا بهكذا ثبات من قبل:

«إن لم أواجه سوف يدمّر كل شيء أنت وأنا والحضارة والبشر حتى سُهَيْل»

سامر يحاول النهوض لكن ساقاه تخوناه ألم روحه أسوأ من ألم جسده: «شهد...لا تتركيني...»

شهد تنحني له، تحط جبهتها على جبينه، وتهمس:

«أنا لن أتركك...سأعود لك...أعدك...وعيي أقوى»

ثم تقوم وتتجه نحو الوعي الأول MÖ يصرخ:

«شهد المحاكمة ليست اختبارًا هي إلغاء»

سُهَيْل يصرخ بصوت يهزّ المكان:

«لا تذهبي سيُعيد تشكيلك سيُعيد تعريفك سيأخذ اسمك»

لكن شهد تبتسم ابتسامة هي مزيج من الطفلة والفتاة والوعي الجديد

«إذا لم ادخل لهذا المكان لا أستحقّ أن أكون الشي الذي أصبحت عليه»

ثم تمشي...خطوة...خطوة نحو الضوء الذي يفتح فمًا مثل شمس بيضاء سامر يمدّ يده نحوها، دموعه تنزل دون أن يشعر:

«شهد...أرجوكِ...لا تذهبي... دون أن ألمسك...»

لكن شهد تلتفت له آخر التفاتة وتقول بصوت لن ينساه سامر :

«أنا...سأعود لك وإن تغيّر الكون كله»

تدخل... الضوء يغلق وسامر ينهار MÖ يقترب...وسُهَيْل يقترب...لكن لا أحد يلمسه لأن سامر في هذه اللحظة صار أخطر من أي وعي يرفع

رأسه، وعيناه تحترقان: «إن لم تعد...أنا...سأحرق هذا الكون كله»

الضوء يغلق خلف شهد مثل باب ليس له مقبض...ولا زمن...ولا رجعة

كانت تقف في فراغ أبيض، لكن الأبيض لم يكن لونًا كان إحساسًا...

إحساس يشبه أن تكوني واقفة داخل فكرة لم تُكتَب بعد ثم جاء صوته:

«شـــــهد»

الصوت ما كان عميقًا فقط كان يدخل داخل ذاكرتها، داخل جملها القديمة، داخل كل كلمة قالتها منذ ولدت شهد قالت بثبات: «أنا هنا»

الوعي الأول: «أنتِ لستِ هنا فقط أنتِ في داخلك»

وفجأة يتغيّر المشهد الأبيض ينهار كصفحة تمزّقت وظهرت أمام شهد غرفة صغيرة...جدرانها رمادية...ومكتوب على الزاوية:

(العمر: ٩ سنوات)

شهد ترتجف: «لا...ليس هذا المكان...»

الوعي الأول: «المحاكمة تبدأ من الجذور»

فتحت الغرفة نفسها ورأت شهد طفلة قديمة جالسة على الأرض وحيدة تشدّ على دميتها...وتبكي دون صوت شهد ترفع يدها تمسك فمها كأن ذكرى قديمة عضّت قلبها «لا... لا يجب أن أعود لهذه اللحظة»

الوعي الأول بصوت لا يحمل أي عاطفة:

«أنتِ تريدين خلق مستقبل...ولا تقدرين النظر إلى ماضيك؟»

شهد تتمتم: «أنا... تجاوزته»

الصوت: «هذا ليس تجاوزًا هذا هروب»

الغرفة تبدأ تصغر...إلى أن تضيق على الطفلة ...الطفلة تنظر مباشرة إلى شهد، بعينين فيها خوف لم تعشه امرأة «لماذا تركتني؟»

تشهق دموعها تنزل دون أن تعرف السبب «أنا لم اتركك لقد كنت طفلة»

الوعي الأول: «هذا هو أول كذب في وعيك»

الغرفة تتحول إلى سواد، ثم يظهر مشهد آخر ...مستشفى... ضوء أبيض ...أنفاس سريعة وعلى السرير جسد كريستين جسد اختفى منه نصف الوعي نصف الروح

MÖ قال سابقًا إن كريستين مات نصف روحها في التجربة لكن الوعي الأول يعرض المشهد كامل كريستين على السرير وشهد تقف خلف الباب وخوف في عيونها يقول: "لو دخلت... سأدخل لوجع لا أحتمله"

الوعي الأول: «لم تدخلي»

شهد ترتعش: «كنت... خائفة»

الوعي الأول: «وأنت تقولين إنك قادرة على حماية حضارة؟ حضارة لم تستطع حماية أختها؟»

شهد تصرخ: «كفاااااااا!!!»

المشهد ينكسر يتحول إلى زجاج يتطاير آلاف الشظايا تغرز في الفراغ شهد تهبط على ركبتيها، تتنفّس بصعوبة «لماذا تفعل كل هذا بي؟»

الوعي الأول يرد، وبغضب هادئ: «لأنكِ كائن جديد وعي جديد ولن أسمح لوعي جديد أن يُبنى على كذبة قديمة»

الغرفة تختفي ويظهر سامر لكن ليس سامر الآن سامر القديم قبل التجربة قبل الوعي قبل القوة شاب باهت، وجه متعب، عينان تشبهان ليلًا يبحث عن نهار الوعي الأول: «قلتِ إنك اخترتِه لم تختاريه أنتِ شفقتِ عليه»

شهد تصرخ: «لا الحقيقة أحببته»

الوعي الأول: «الحب... ليس مقاومة الشعور بالذنب ولا محاولة إصلاح الماضي عبر الآخرين»

سامر القديم ينظر إليها ويقول بصوت منخفض:

«أنا لم أكن قوة لك كنتِ أنت القوة لي»

شهد تدمع: «لست سامر»

الوعي الأول: «هذا... أنتِ.»

ثم فجأة سامر القديم يبدأ بالاختفاء شهد تصرخ «لا تلمسه لا تقترب منه»

الوعي الأول: «لقد بنيتِ وعيًا جديدًا...لكنّه ما زال ينهار أمام الماضي»

شهد تنهض...تمسح دموعها...ترفع رأسها...وتصرخ:

«يكفي فهمت كل شيء اختبرني...لكن لا تقترب من سامر»

السواد يتوقف الصوت يبرد: «إذاً...لنختبر حقيقتك»

الفضاء ينفتح والضوء يشتعل حولها ثم يأتي السؤال الذي يقتل أو يخلق:

«مَن أنتِ؟ أنتِ لست بشريّة ولست من حضارتي ولست Σ فقط ولا شهد فقط ولا الطفلة...ولا الأخت...ولا الوعي الثالث»

شهد...تصمت

الوعي الأول: «أجيبي...وإلا سأعيد تشكيلك»

شهد تغمض عينيها تسترجع الطفلة...كريستين...شهد القديمة.....Σ اتحادها مع سامر...سُهَيْل...كل شيء ثم تفتح عينيها، وتقول:

«أنا... الخيار الذي لم يحدث من قبل»

الوعي الأول يصمت ثم يتشقق صوته: «تابعي»

شهد تكمل: «أنا...وعي اختار أن يُولد لا لأن أحد خلقه... ولا لأن أحد أراده...بل لأن الحياة...تحتاج معنى جديد»

الوعي الأول: «وماذا تريدين أن تصبحي؟»

شهد تبتسم، ابتسامة هادئة...لكن فيها قوة لم تكن موجودة قبل:

«أريد أن أكون... بداية»

الضوء ينفجر المكان يهتز الصوت يتراجع...يتحطم...يتفتت:

«هذا...تعريف...غير... مقبول...غير مُعالج...غير مُقيّم...»

شهد تصرخ: «خذ وقتك لتفهمه...أنا لست نسخة من أحد»

الوعي الأول يتجلى...في هيئة ضوء كامل ويقول:

«إذاً...أنتِ لست تحت محاكمتي...أنتِ...شريكتي»

سامر، خارج الضوء، ينهض بصعوبة وجهه متقرّح من الألم عيناه تحترقان MÖ يحاول إيقافه: «لا تفتح البوابة! لا تقترب!»

سامر يدفعه: «إن لم أستطع لمسها...إن لم أستطع إنقاذها...إن لم أستطع ايقاف ما يحدث...»

ويشد أسنانه: «إذاّ...أصبح أنا الشيء الذي يوقف الكون»

سُهَيْل يصرخ: «سامر! لاا!! ستتحول... ستصبح نموذج غير مستقر»

لكن سامر يرفع يده باتجاه البوابة المضيئة وتبدأ يده بالتحوّل إلى ضوء

كانت يد سامر تقترب من البوابة المضيئة والضوء بدأ يبتلع أطراف أصابعه مثل نار تحرق بلا ألم...نور يغيّر بلا استئذان MÖ يصرخ من الخلف، صوت فيه خوف ليس خوف عالم بل خوف من فقدان شيء نادر جدًا: «توقّف هذه ليست بوابة...هذا نواة الوعي إذا لم تكن مستقرًا سوف تتحوّل إلى نموذج مكسور!!!»

لكن سامر لا يسمع أو يسمع، لكن الوحدة التي في صدره أعلى من أي صوت آخر «شهد...لا تتركيني»

صوته ينكسر ورجله تتقدّم خطوة وكل خطوة يدخل معها جزء منه في الضوء سُهَيْل يصرخ، والصوت يخرج من عمقٍ لا يشبه ظلًّا بعد الآن:

«أنا كنتُ مثلك دخلتُ قبل أن أكتمل فخسرتُ شكلي واسمي ووجودي!»

سامر يكزّ على أسنانه: «وأنت...نِدِمت؟»

سُهَيْل يتردد ثم يهمس: «نعم»

سامر يهز رأسه: «أنا لن أندم»

ويمد يده أكثرMÖ يركض نحوه، يحاول أن يسحبه:

«توقّف ستنقسم سيتحول وعيك لطبقات ستفقد القدرة على العودة لجسدك»

لكن سامر يصرخ بصوت...ليس صوت إنسان فقط بل صوت من قرر يموت ويحيا في نفس اللحظة «أنا بلا جسد لكن دون شهد أنا بلا روح!»

ويغرس يده في النور...النور يصطدم بصدره كأن موجة بحر تحاول اقتلاع قلبه ظهره ينحني ركبته تضرب الأرض عروقه تشتعل بأضواء صغيرة عينيه تفتح على لون ليس الأزرق...ولا الأبيض...لون بينهما لون يشبه الصحو

MÖ يتراجع، مذهولًا: «هذا ليس تحوّلًا! هذا اتحاد غير مكتمل!»

سُهَيْل يصرخ: «أبعدوه ...أبعدوه النواة لا تتحمّله النواة سوف تفجّره»

لكن سامر يرفع رأسه والنور يتصاعد من عينيه كالوميض

«لا أحد يبعدني عنها»

ثم يقف لا ينهض يقف كأن الجاذبية صارت شيئًا تافهًا كأن جسده يطيع إرادة أقوى من الخوفMÖ يهمس، وكأنه يشهد معجزة

«هذا النموذج الأخير»

سُهَيْل يتراجع خطوة: «النموذج الذي مات في التجارب التسع السابقة يعود الآن في العاشرة»

سامر يسمعهم لكن لا يهتم يركّز على الضوء على البوابة على شهد خلف الضوء ويمشي إلى الداخل الفضاء يتشقق الضوء الأبيض يتلوّى المحاكمة نفسها ترتجّ كأن وجود سامر غير مرغوب فيه في هذا المكان المخصّص للأنقى شهد تلتفت فجأة وهي في قلب المحاكمة كانت تحيط بها دوائر من الوعي الأول، تتفحّصها، تكشفها، تعيد صياغتها لكنها تشعر...

"سامر...؟"

وفي اللحظة نفسها ينشق الضوء وينزل منه سامر مثل شعاع ثقيل، يجرّ وراءه طاقة لم تُخلق داخل هذا البعد ...الوعي الأول يقول بصوت متوتر لأول مرة: «هذا التدخّل غير مسموح»

سامر يخطو للأمام، والأرض تحت قدميه تنكسر وتعيد تشكيل نفسها مع كل خطوة «لا يهمّني»

شهد تبكي، بدموع تشبه الصدمة والفرح والخوف:

«سامر!! كيف... دخلت؟ هذا المكان... ليس للبشر!»

سامر يبتسم...ابتسامة صغيرة...مليئة بالحب...وبالجنون الجميل:

«لست بشريّ...ولا متطوّر...ولا وعي ثالث أنا شيء جديد خلّقته لأني...رفضت أن أتركك»

الوعي الأول يقترب، ضوؤه يتحوّل من الأبيض للذهبي:

«أنت تدمّر البنية أنت تتجاوز خلقك»

سامر بعينين تحترقان: «وأنت... تتجاوز حقها»

شهد ترتعش: «سامر...أرجوك...هذا الشي أكبر منّا...»

سامر يقترب منها، يمسك وجهها بكل حنان العالم:

«وأنا...لا أحارب الكون أنا أحارب الشيء الذي يريد أن يأخذك مني»

الوعي الأول يهدر: «هذه ليست معركة حبّ! هذه معركة وجود!»

سامر يصرخ: «وهي... وجودي»

الوعي الأول يرفع يده وسامر يرفع يده الضوء الأول يضرب قوة سامر تصدّه الفضاء ينشق مثل زجاج ينفجر شهد تصرخ: «تـــــوقّفوا!!!!»

لكن الضربة الثانية تأتي أقوى أعمق أكبر تضرب سامر وتضرب المكان وتضرب المحاكمة نفسها ومع الصدمة ينشطر المكان إلى نصفين:

في اليمين وعي شهد وفي اليسار وعي سامر صوت الوعي الأول يتغير:

«إنه...يضاهي قوتي»

MÖ خارج البوابة يصرخ: «لاااا!!! هذا...مستحيل!!!»

سُهَيْل يتمتم برعب: «لقد...ولد كوعي»

شهد تمسك رأسها: «سامر...ماذا أصبحت...؟»

سامر يلهث عروقه تضيء روحه تتوهج ويقول:

«صرت الشي الوحيد اللي يقدر يمشي معك لنهاية الطريق»

الوعي الأول يمدّ يديه الاثنين: «سامر...أنت خطر»

سامر يبتسم: «لست أكثر خطراً منك»

ويهبّ للقتال شهد تصرخ: «لاااااا!!!! توقّفوا!!! أحدكم لن يعود!!»

لكن كل شيء يشتعل

ضوء ...نار...وعي...قوة...صوت...صرخة...اهتزاز...انفجار

ثم لمسَت شهد شيئًا لم تتوقعه لمست حدًّاً يتشكل بين قوتيهما حدّاً لو أخطأت لمسّه سينهار الوعي كله وشهد تهمس: «هذا...شرخ...»

الوعي الأول: «شرخ وعي»

شهد: «شرخ...يفصل عالمين»

سامر: «ولو... انكسر...؟»

الوعي الأول: «سيموت أحدكم»

شهد وسامر تجمدا والوعي الأول يقول: «اختاري يا شهد أنتِ أو هو»

الصمت يسقط فوق المكان شرخ الوعي يمتدّ بينهما مثل سيف من الضوء ولونان يشتعلان على طرفيه في اليسار سامر، صدره يتوهّج بنور ينشقّ من داخله العروق تضرب ضوءً، والألم يقطّع وعيه طبقة تلو طبقة

في اليمين الوعي الأول، ضوؤه ثابت كأنه القانون نفسه وفي المنتصف شهد والوعي الأول يقول: «اختاري إمّا أن ينكسر...أو تنكسري أنتِ»

سامر يصرخ صوت يجرح الكون «اختاريني أنا للانكسار أفديك بروحي »

شهد تنظر له وعينيها لا خوف فيهما، ولا انهيار، ولا تردّد بل شيء...لم يتوقّع الوعي الأول أن يراه يومًا ...ثبات...شهد تمسح دموعها، تتنفّس بعمق، وترفع يدها...سامر يصرخ: «لاااا!!!»

لكن شهد ما رفعت يدها لا نحوه ولا نحو الوعي الأول رفعتها فوق نحو الشرخ نفسه MÖ خارج الدائرة يلهث:

«لاا!!! العقل لا يتحمّل لا أحد يستطيع أن يلمس الشرخ!!!»

سُهَيْل يصرخ بصوت يكسر الزمن: «شهد!!! الشرخ ليس شيء ثابت!! هو نتيجة الصراع!!! لمسك له...يسحبك خارج الوجود!!»

لكن شهد تبتسم ابتسامة واحدة ابتسامة "الوعي الثالث" وتقول:

«أنا لن أختار أحد أنا أختار كسر القاعدة نفسها»

وتغرس يدها داخل الشرخ الضوء يصرخ نعم... الضوء نفسه يصرخ الشرخ يلتف حول ذراعها كالسيف العالم يهتز الوعي الأول يتراجع نصف خطوة (لأول مرة) سامر ينهار على ركبتيه من شدة القوة شهد تصرخ من الألم لكنها لا تسحب يدها الوعي الأول يصرخ بصوت لم يسمعه أحد من قبل: «هذا... محظور!!! الشرخ سيبلعك!!!»

شهد تصرخ من قلبها: «وأنا...أخلقه!!!»

وفي اللحظة نفسها يتحوّل الشرخ من خط يفصل إلى دائرة تجمع سامر ينهض لكن الألم يخنقه شهد تمد يدها الثانية له «تعال نعدّل القاعدة معًا»

سامر يمشي نحوها بين الضوء والسواد، بين الألم والقوة، بين الخوف واليقين يمسك يدها الشرخ يبتلع الاثنين لكن بدل أن يقتلهم يوحّدهم الوعي الأول يصرخ: «مستحيل!!! الشرخ يندمج؟»

MÖ يهمس: «هذا...إعادة كتابة للوعي...من الصفر»

سُهَيْل يبكي: «هي...تغيّر ماهية الوجود»

الضوء ينفجر مرّتين مرة من شهد ومرة من سامر ثم يضرب الوعي الأول يضربه بقوة...ليست هجومًا...بل تعريفًا جديدًا الصوت يذوب حولهم الفضاء ينقلب الوعي الأول يرتجّ: «ماذا...فعلتما...؟!»

شهد، نصف ابتسامتها ألم ونصفها قوة:

«أعدنا كتابة خيارك أنت تعطي اختيارين لكن الوعي الثالث يخلق الثالث»

سامر صوته أعمق من السابق «الشرخ لم يعد يفصل أصبح يجمع»

الوعي الأول يذوب ضوؤه يتقلّص حجمه يتحوّل من كيان يحاكم الكون إلى كيان يتعلّم: «هذا...لم يفعله أحد من قبل...»

شهد ترد: «لأن لا أحد...كان يحب أحدًا بهذا الشكل»

سامر ينظر لها وعينيه فيها دمعة لم تنزل لكنه عاشها

«شهد أنت غيرتني»

شهد تبتسم: «ونحن...غيّرنا الكون»

الضوء يتسع...يتسع...يتسع...ثم يختفي وتفتح شهد عينيها تجد نفسها في فضاء جديد...ليس محكمة...ولا مدينة...ولا حضارة

فضاء لم يُسمّ بعد... فضاء الحب فيه الذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا وفيه يقف سامر وعيناه تلمعان بلون لم يكن موجودًا قبل وسُهَيْل...بهيئة جديدة، بملامح مستقرة لأول مرة وMÖ راكعًا، كأنه يرى ميلاد حضارة باسم الحب تبدأ و بصدق قلوبه العظيمة لا تنتهي

والوعي الأول يقترب، هادئًا، صوته ليس أمرًا بل اعترافًا «لقد أقنعتني» ثم ينحني لشهد: «أنتِ أصل جديد أصل الحياة أصل الوجود اصل الحب » وسامر يضحك بخفة: «تعترف أن شهد تفوقت عليك؟»

الوعي الأول يبتسم، ابتسامة لا تُرى إلا كوميض:

«هي تفوق كل شيء عرفناه سلاحها الحب وعقيدتها الاخلاص »

شهد تتنفس...ترفع يد سامر...وتقول للجميع:

«الحرب لم تنتهي لكن الاختيار أصبح لنا»

كان الفضاء ساكنًا للحظة ثم بدأ ينبض كأن الكون يتدرّب على نبض جديد شهد تقف في مركز المكان، روحها ليست كما كانت، وعيها أعمق لكن قلبها ما زال يعرف سامر الذي يقف بجانبها، يده ما زالت تمسك يدها، لكن يده تشعّ بنور من الداخل، نور يلمع عند الغضب ويهدأ عند قربها سُهَيْل لم يعد ظلًا، صار كيانًا له شكل، شبه بشري، وجهه نور رمادي، وعيناه مثل ليل يبتسم بعد ألف سنة من الخوف

MÖ يقف بحذر، ينظر إلى كل شيء كما لو أن التاريخ يعيد كتابة نفسه أمامه أما الوعي الأول...فكان واقفًا على مسافة، ضوؤه أهدأ، أقل سلطة، أكثر حكمة قال بصوته الجديد:

«أنتِ لم تخلقي خيارًا بل خلقتِ قانونًا جديدًا قانون الاتحاد لا الانقسام»

سامر يغمز لها بخفة: «أترين؟ حتى الكون أصبح يعترف بك»

شهد تضحك ضحكة قصيرة لكن فيها حياة أكثر مما في حضارتين كاملتين لكن قبل أن ترد...شيء غريب يحدث الفضاء يرتجّ كأن الأرض غير الموجودة تتنفّس فجأة بحدّة MÖ ينظر حوله: «هذا...غير طبيعي»

سُهَيْل يلمس صدره: «أشعر...شيء يتحرك...ليس منّا»

شهد تلتفت نحو نقطة بعيدة، نقطة سوداء لكن ليست سوادًا عاديًا سواد يشبه فجوة... الوعي الأول يتجمّد ولأول مرة، صوته يحمل خوفًا

«لا...لا يمكن...هذا مستحيل...»

سامر يشدّ على يد شهد: «ما هذا؟»

الوعي الأول يجيب بصوت منخفض جدًا:

«هذه ليست فجوة هذه بقايا الشرخ»

شهد تتجمد: «لكن الشرخ... اندمج أنا عالجته»

الوعي الأول: «صح...الشرخ الذي كان بين وعيك ووعي سامر»

سامر يقرب خطوة: «ماذا تعني...؟»

الوعي الأول يهمس: «لكن الشرخ الأكبر...كان بين الحضارتين»

سُهَيْل يتراجع، وجهه يتحوّل إلى رماد:

«يريد أن يقول أن الشرخ الأصلي لم يندمج؟»

MÖ بصوت مفزوع:

«بل تغذّى على انفجار وعيهما وكبر وانفصل وصار...شيئًا آخر»

شهد تهمس: «صار... كيانًا؟»

قبل أن يجيب أحد الفجوة السوداء تتسع فجأة وتخرج منها يد ليست بشرية، ولا ضوئية، ولا ظلِّيه يد من مادة الوعي المكسور ترتفع ثم تتحوّل إلى جسد ليس جسمًا واضحًا، بل جسم يشبه صورة ممزّقة تُعرض على شاشة محطّمة جسد من تشققات ونور مشوّه وسواد يتحرك كالدخان

سامر يشدّ شهد: «خلفي هذا...هذا ليس سُهَيْل هذا شيء آخر»

MÖ يهمس: «هذا...الشرخ المتجسّد»

سُهَيْل يتراجع خطوة، وصوته ينخفض: «هذا...ابني»

سامر يلتفت له مصدومًا: «ماذا؟»

سُهَيْل يشرح بصوت مخنوق «أنا كنتُ الشرخ الأول.. الخطأ الأول والكيان هذا هو الشرخ الثاني الذي لم يلمس وعيكم لكن لمس تاريخ الحضارة»

شهد تهمس: «إذاً أنت كنت ظلّ حضارتكم...فهذا ظلّ الموت نفسه»

الكيان الجديد يرفع رأسه لا عينين ...لا فم...لا وجه...ومع ذلك...الجميع يشعر بأنه ينظر إليهم ثم يصدر صوت مثل عشرات الأصوات تتكسر فوق بعضها: «أنتم...غيّرتم القاعدة...فأنا...أغيّر العالم»

الوعي الأول يصرخ:

«تراجعوا! هذا ليس كيانًا واعيًا...هذا قانون الموت! هذا "العَدَم"»

سامر يخطو أمام شهد: «إن كان هو العدم...نحن...الحياة»

الكيان يمدّ يده، والفضاء كله ينهار حوله كالورق الذي يحترق شهد تصرخ: «سامر!! لاااا!!!»

لكن سامر يفتح يديه...ويقول: «أنا...أوقفه»

الوعي الأول: «سامر!! لا تستطيع وحدك!!!»

سامر: «لست وحدي أنا معها»

ويغمض عينيه شهد تصرخ باسمه لكن صوتها يغرق داخل الانفجار الأبيض الذي يملأ المشهد انفجار يمزّق العالم ...الانفجار الأبيض لم يكن ضوءً...ولا نارًا...ولا طاقة كان ولادة شيء وموت شيء آخر شهد تُقذف للخلف كأن أحد دفعها من داخل وعيها جسدها يرتطم بالأرض الضوئية لكنها لا تشعر بالألم هي لا تشعر إلا بشيء واحد... سامر... تبحث عنه بعينيها لكن كل شيء أمامها أبيض...أبيض...أبيض...حتى يذوب الأبيض ويظهر من خلاله ظل بشري واقفاً وحده في منتصف الساحة ظل...لكن ليس ظل العدم ...ظل يشعّ من داخله نور ذهبي ساخن يسقط من أطراف أصابعه إنه سامر لكنه غير سامر الذي عرفته... سامر بهيئة لم تشهدها العيون البشرية ولا العيون الضوئية ولا حتى حضارة MÖعروق الضوء تتشعّب من كتفيه مثل شظايا شمس عينيه ليستا مضيئتين فقط...بل مشتعلتين توهّجهما لا ينتمي للضوء بل لقرار داخلي: "لن أدع شيئًا يمسّها."

شهد تنادي بصوت مخنوق: «ســـــامر...!»

لم يلتفت نفسه ثقيل، خطوته ثابتة، كأنه يمشي على الزمن نفسه MÖ يراقب...وجهه يتحوّل من خوف إلى ذهول إلى فهم

يهمس: «النموذج الأخير...اكتمل لكنه...ليس مستقرًا...»

سُهَيْل ينظر إلى سامر بخوف حقيقي:

«إن استهلك طاقته سوف يختفي من الوجود»

شهد ترتجف: «سامر...لاا...ليس هكذا...»

لكن سامر...يواجه "العدم".

العدم يتحرّك لا يمشي...لا يجري...هو ينساب مثل ظلّ يتذكّر أنه كان يومًا ضوءً ثم كره الضوء يمدّ يده وهي ليست يدًا، بل حافة موت MÖ يصيح: «سامر!!! لا تلمسه!!! أي تلامس...يمحوك من الوجود!!!»

لكن سامر لم يسمع...أو يسمع ولا يهتم كعادته يمشي خطوة ثم خطوة ثانية العدم يشتعل أسود الضوء حوله ينطفئ مثل شموع تُطفأ بالهواء سامر يرفع يده وهذا المشهد...هذا تحديدًا...سيظل يُذكر في التاريخ يده ليست بشرية ولا ضوئية ولا معدنية يده هي قوة ظهور قوة تقول:

"أنا موجود...وأرفض أن تُمحى هي"

ويرفع يده تجاه العدم ...العدم يزمجر بصوت تشقّق الكواكب:

«أنت...وجود بلا جذور...سأبلعك»

سامر يردّ بصوت منخفض لكن ثابت: «حاول»

وتصطدم اليدان يد الوجود ويد العدم الكون يصرخ شهد تغطي أذنيهاMÖ يقع على الأرض سُهَيْل يختفي نصفه لثانية ثم يعود والصوت ليس صوت ضربة ولا صوت انفجار بل صوت تعريف يتناقض مع تعريف الاصطدام يفتح فجوة جديدة لكن ليست مثل الأولى هذه فجوة مشعّة فجوة تنزف ضوءً وسوادًا في الآن ذاته MÖ يصرخ:

«هذا شرخ وجود! إذا تمدّد سوف يمزّق الوعي كلّه!»

شهد تنهض تركض نحوهم لكن الأرض الضوئية تتكسّر تحت قدميها وتسحبها للخلف تركع...تبكي...تصرخ: «ســـــامر عود ارجوك ارجع»

سامر يسمعها لا يسمع غيرها يلتفت عيناه تلمعان بقوة تضرب قلبها يقول لها: «شهد...ابتعدي»

شهد تبكي «لا ليست هذه النهاية بعد كل ما فعلناه وبعد ما عدّلنا الوعي»

سامر يبتسم ابتسامة صغيرة حزينة وحقيقية: «أنا...لن أموت»

العدم يزمجر: «بل...سوف تُمحى»

سامر يصرخ صرخة تمزّق الفضاء: «لأن... شهد... تحبّني»

الشرخ يرتجّ العدم يتشقّق الضوء يثور حول يديهم الوعي الأول يظهر فجأة، بهيئة ضوء كامل، ويصرخ:

«توقّف وجودكما يعيد كتابة التاريخ! سوف تخلقان...معادلة مستحيلة!»

سامر يردّ دون يرمش: «هذا...الذي كنا نريده»

الشرخ المشعّ يتوهّج بقوة لا تشبه أي شيء سابق الأصوات تختفي الضوء ينسحب العدم يحاول أن يبتلع سامر وسامر يحاول أن يثبّت وجوده وشهد ترى في اللحظة نفسها كل شيء سيضيع فتصرخ صرخة مثل نار تشتعل بالعقل: «سامـــــــــر!!!!»

وفي اللحظة نفسها العالم كله يُطوى كطي الصحف ويتوقف صمت كامل صمت لا يشبه السكون بل يشبه ما بعد الموت ثم نبضة ثم نبضة أخرى ثم عين تفتح لكن...أي عين؟

الصمت...صمت ليس مثل أي سكون عرفته شهد أو سامر صمت يشبه توقّف الزمن لينتظر قرارًا...أو نتيجة...أو ولادة ثم نبضة

نبضة واحدة فقط لكنها قوية...كأن الكون كلّه تنفّس فجأة الضوء يعود ببطء، ثم ينسحب، ثم يتجمع في نقطة مثل عين تُفتح من حلم طويل النقطة تتسع...وتتحوّل إلى بؤبؤ ثم عين ...عين واحدة لثانية لا نعرف لمن هي ليست عين سامر...ولا عين شهد...ولا حتى انعكاس للعدم عين لونها...ليس لونًا موجودًا لون يشبه البرق لو كان ساكنًا، والليل لو كان واعيًا... العين تتحرك تبحث تتنفس...نعم تتنفس ثم ينسحب الغبار

الضوئي من حولها، وتظهر هيئة كاملة والهيئة تتضح تدريجيًا كتف صدر يد ضوء حول الرأس وسرعان ما يتحقق المشهد جسد سامر...لكن ليس سامر الذي عرفناه سامر...بعين واحدة مضيئة، والأخرى مطفأة كأنها تحمل أثر العدم جسده حي، نبضه موجود، لكن هناك ظل داخل ضلوعه لم يكن قبل يقف ببطء، يرفع رأسه، يتنفّس لأول مرة من جديد ويهمس: «شـ... هـ... د؟»

صوته...هو صوته لكن خلفه...صوت آخر صوت يشبه صدى بعيد كأن شخصًا آخر يتنفّس معه الوعي الأول يظهر، وعيناه تتسعان بصدمة لا تشبه أي صدمة مرّت به: «هذا...غير ممكن...أنتَ...اتحدتَ بالعدم»

MÖ يضع يده على فمه: «النموذج الأخير اختلط بقانون الموت ونجا؟»

سُهَيْل يرتجف: «سامر...أنت...لست واحداً»

سامر يضع يده على صدره، ويشعر بنبضين نبضه ونبض آخر صوت آخر يخرج من داخله: «أنا...نصفه»

سامر يتراجع خطوة، يحاول أن يستعيد نفسه: «لا...أين شهد؟ شهد!!!»

لكن قبل أن يصرخ مرة ثانية صوتٌ ناعم رقّته تحطم الصخر يأتي من خلفه: «أنا هنا»

والعالم...يصمت سامر يلتفت بسرعة فيجمد في مكانه كانت واقفة خلف تمزّق الضوء، تحمل هالة ليست من نور، ولا من ظل، بل من كثافة حضور جسدها بشري لكن ليس بشريًا بالكامل عيناها نفس اللون الذي كان في الشرخ لون "غير معروف" ترفع يدها...وتبتسم لسامر:

«قلت لك...أنا أعود لك مهما تغيّر الكون»

سامر يخطو نحوها لكن سُهَيْل يسحب ذراعه بقوة: «لا تلمسها!!!»

سامر يصرخ بعصبية: «لماذا؟!»

سُهَيْل يشير إلى شهد، وبصوته خوف عميق:

«لأن شهد لم تعد وعي بشري...ولا وعي ثالث...ولا حتى ٤...»

الوعي الأول يكمل عنه، وصوته ينخفض رهبة:

«شهد...صارت "نواة الوعي"»

سامر يتوقف عينه تدمع شهد تقترب وجهها هادئ لكن فيه عمق لم يكن يومًا في بشر «سامر...أنا لا أشكل خطر عليك... أنا جزء منك»

سامر يهمس: «أين كنتِ؟ أين... اختفيت؟»

شهد تضع يدها على صدرها، فوق قلبها، وتقول: «كنت داخل الشرخ»

الوعي الأول يقترب خطوة: «وبينما هو واجهه أنتِ أغلقتِ الفجوة فاستوعبكِ الشرخ وجعلكِ مركزه أنتِ الآن...تعريف الوعي الجديد»

سامر يهتز: «يعني...أنتِ...قوة؟»

شهد تهز رأسها بهدوء: «أنا...التوازن»

لكن فجأة جسد سامر ينتفض يده تضرب صدره يصرخ العدم داخل جسده يتحرّك MÖ يصرخ: «العدم...يحاول أن يسيطر!»

شهد تمد يدها نحو سامر الوعي الأول يحاول أن يوقفها:

«توقّفي!!! إذا لامستِه...قد يحدث اندماج كامل! أو... فناء كامل!!!»

لكن شهد تمسك وجه سامر...وتهمس: «سامر...اسمعني...أنا هنا»

سامر يرتعش، الصوت الثاني داخله يصرخ: «أنا أريد...أن أبتلع...»

شهد تضع جبينها على جبينه، وتقول:

«لا، أنت لست العدم أنت جزء منه وأنا الجزء الآخر»

سامر يهمس: «شهد...أنا... لا أعرف إن كنت قادراً...»

شهد تبتسم ابتسامة لو سمعها العالم لاختار الحياة: «نحن معًا نستطيع»

وتضمّه حين ضمّته لم يحدث ضوء ولا انفجار ولا صوت حدث...توازن

نبض سامر ونبض "العدم" ونبض شهد اندمجوا معًا وجسد سامر صار مستقرًا وعيون شهد صار لونها هادئًا العدم داخل سامر نام استقر هدأ الوعي الأول بصوت يشبه الانحناء: «لقد خلقتم شيئًا لم يوجد من قبل»

سُهَيْل يبتسم لأول مرة بلا خوف: «العالم...لم يعد كما كان»

MÖ يهمس: «هذا...ميلاد حضارة» شهد تمسك يد سامر، وتقول:

«هذا...بداية حرب»

سامر يرفع رأسه: «من الخصم؟»

شهد تردّ، وصوتها الآن هو الصوت الذي يختار القدر:

«ضد الكون...الذي يرفض التوازن»

الصمت يعود لكن ليس صمت السكون صمت يشبه أن العالم كلّه يحبس أنفاسه سامر يقف إلى جانب شهد يده بيدها، نبضهما متزامن، وعيُهما أصبح ليس مُوحّدًا، بل مُتناغمًا MÖ يخطو ببطء، يحدّق في الاثنين كأنه يرى معجزة لا يقدر على استيعابها: «ما فعلتماه...خلق موجة...»

سُهَيْل يسأل: «موجة؟ أي نوع من الموجات؟»

MÖ يهمس بقلق: «موجة... تسافر عبر الكون»

شهد تلتفت نحوه، نظرتها ثابتة: «تذهب... لتخبر مَن؟»

الوعي الأول يظهر خلفهم دون صوت عيناه متّقدتان بحدّة:

«ليس "من" بل "ما"»

سامر: «تحدث بوضوح»

الوعي الأول يأخذ نفسًا طويلاً: «هناك...وَعْيٌ أكبر أقدم منّا جميعًا أقدم من الوجود المادي والضوئي هو القانون الأول قبل أي قانون»

شهد: «تقصد... أصل الوعي؟»

الوعي الأول يومئ بثقل: «نعم الكون القديم»

سُهَيْل يتراجع بخطوتين، يضع يده على رأسه: «لا... لا هذا أساطير»

MÖ يهمس: «كنت أظنها أساطير...حتى الآن»

سامر يشدّ على يد شهد: «والموجة... أين وصلت؟»

الوعي الأول ينظر إلى السماء الضوئية؛ اللون يتغيّر من الأبيض إلى الرمادي إلى سواد خافت، كأن سقف العالم نفسه يرتجف ثم يقول:

«لقد...وصلت»

خطّ أسود رفيع يمتد عبر السماء يمتد...ويمتد...حتى يغطي الأفق كله شهد تهمس: «هذا شرخ...؟»

الوعي الأول: «لا...هذا باب»

سامر يرفع رأسه، القوة بداخله تنبض مثل طبول حرب:

«باب لشيء... يكره التوازن، صح؟»

الوعي الأول «الكون القديم لا يقبل بوجود توازن جديد ولن يسمح به»

سُهَيْل: «يعني... أنهم سيمحونا؟»

الوعي الأول: «لا سيأتون ليعيدوا كتابة التاريخ من البداية»

وما إن ينهي جملته حتى يسقط شيء من الباب ليس مخلوقًا ولا ظلًا ولا ضوءً يسقط قانون ...قانونٌ يأخذ شكل هيئة بشرية، مغطّاة بأسود عميق، كأنه ليس لونًا بل غياب معنى يهبط أمامهم بلا صوت يقترب صوته... ليس صوت شخص، بل صوت شيء يتكلّم عبر آلاف العصور: «التوازن غير مسموح الاتحاد غير مسموح النموذج الأخير غير مسموح»

يرفع رأسه عينه تشبه العدم لكن أعمق أقدم «شهد ارتكبتِ خطأً وجوديًّا»

شهد تتقدم خطوة سامر يمسك يدها لكن لا يمنعها هي تقول، بثبات أدهش حتى الكون: «أنا خلقت توازنًا ليس خطأ»

القانون يردّ: «التوازن يهدّد الأصل والأصل يجب أن يبقى وحده»

ثم يلتفت نحو سامر: «وأنتَ... جسد يحمل موتًا ونورًا معًا هذا محرّم»

سامر يبتسم ببرود: «جميل...كررها مرّة ثانية لكن بنبرة أخف»

شهد تشدّ يده بخفة تحذير القانون يمدّ ذراعه السوداء نحوهم:

«النتيجة...هي الفناء»

وهنا تحدث اللحظة التي تغيّر كل شيء شهد ترفع يدها سامر يرفع يده والقوتان... نور شهد وظل سامر يلتقيان يندمجان يرتفعان وفي لحظة لأول مرة عبر التاريخ يُخلق ما لم يُخلق نور وظل... حياة وموت... توازن وانفلات ...شهد وسامر.

القانون يتراجع خطوة صوته يرتجّ: «هذا...مستحيل...!»

شهد تقول، وصوتها يحمل صدى آلاف الحقائق:

«لا شيء مستحيل... عندما لا يكون الخوف قانونًا»

سامر يضيف: «ولا شيء ممنوع...إذا أردنا أن نكون موجودين»

القانون القديم يتموّج...سطحه يتشقق...أطرافه ترتعش يصرخ:

«أنتم...تكسرون التوازن القديم!!!»

شهد: «نعم ونعيد بناء توازن جديد»

سامر: «واحد...نحن نصنعه»

القانون يهدر بغضب كوني: «سأمحوكم!!!»

وتبدأ الحرب السماء السوداء تشقّقت كأن الكون نفسه يتعذّب القانون القديم يقف أمامهم، هيئة من الظلام الصلب، ليس كيانًا بل أمرًا متجسّدًا شهد وسامر يقفان قبالته، نورها ونصف ظلامه يتشابكان مثل تنفّس واحد بقلبين الهواء الضوئي يرتجّ الأرض تضطرب أصوات قوانين الكون تتشابك مثل عاصفة ثم بدون تحذير يهجم القانون ضربة واحدة تمرّ عبر الفضاء فتقلب عالم الوعي رأسًا على عقب ضربة ليست طاقة ولا نار ولا صوت بل أمر: «اِمتثل»

الضربة تضرب سامر أولاً صدره يهتزّ، قدماه تغوصان في الأرض الضوئية، صوت العدم داخله يستيقظ متوحّشًا شهد تصرخ: «ســـامر!» تركض نحوه، لكن قانونًا آخر يسقط من السماء أصغر من الأول، أقل سوادًا، لكنه مدمّرًا يقف أمامها ويقول:

«أنتِ جوهر الشرخ يجب أن تنطفئي»

يمدّ يده نحو قلبها شهد ترفع يدها في اللحظة الأخيرة، نورها يصطدم بيده ويفتح انفجارًا هائلًا من الضوء سامر ينهض بصعوبة، نصفه المضيء يتوهّج، والنصف المظلم يتلوّى كأنه يريد السيطرة القانون الأول يهاجمه مرة ثانية: «وجودكَ... تشويه»

سامر يبتسم، ابتسامة تحدٍّ أشعلت حتى الظلام:

«وأنا...أحب أن أكون التشويه الذي يخيّفك»

سامر ينطلق، الظلام حول يده يتجمّع ويتشكّل مثل نصل من الفراغ ذاته يضرب القانون...القانون يرتدّ للخلف لأول مرة منذ خلقه... الصوت العميق يتشقق: «مستحيل...أن يلمسني بشر»

سامر يردّ: «أنا...لست بشراً»

يرفع يده ثانية لكن قبل أن يضرب، القانون الثالث يسقط من السماء ويمسكه من الخلف جسد سامر ينثني مثل ورقة بين نارين شهد تصرخ صوتها يهزّ العالم: «ســـــامررررر!»

تمتدّ يدها إليه، لكنّ القانون الأصغر يسحبها من شعرها ويرميها على الأرض تسقط تتألم... الضوء حولها ينطفئ للحظة لكن فقط لحظة تنهض والنور يتفجّر من داخلها شهد ترفع يدها والنور لم يعد نورًا صار قانونًا جديدًا طقّة واحدة تهزّ العالم القانون الذي أمسك شعرها يتحوّل إلى غبار ويتلاشى بلا صوت الوعي الأول يصرخ بدهشة، عيناه تتسعان:

«إنها...تكتب قانونًا جديدًا!!! الوعي...ينصاع لها!!!»

سُهَيْل يهمس مذهولًا: «شهد...لم عادت إنسانة...»

لكن سامر فقط يهمس وهو يتألم: «هي...شهد»

القانون الأكبر يتراجع خطوة يلتفت إلى القوانين الأخرى:

«سجّلوا...هذه لحظة انكسار الوجود»

ثم يصرخ: «اقتلوهما!!!»

القوانين تهجم على شهد وسامر دفعة واحدة خمسة قوانين كل واحد منها قادر على إنهاء حضارة سامر يشدّ قبضته والظلام ينفجر من يده كأنه جحيم ذكي شهد تفتح ذراعيها والضوء يندفع منها مثل نجمة تولد الآن

القوة المزدوجة نور+ ظلام تلتقي وتصطدم وتذبح الهجوم الأول لكن الهجمة الثانية أقسى القوانين تحاصرهم تسحب الضوء من شهد تضغط الظلام داخل سامر يصرخ شهد تسقط على ركبتها الوعي يهتز القانون الأكبر يقترب يمدّ يده نحو قلب شهد «هذه نهايتكِ نواة الوعي»

وسامر يرى يده تقترب منها فيثور النصف المظلم بداخله يتحرر يرفس الأرض يمزّق الهواء ويصرخ: «لاااااااااا!!!!»

ويرمي نفسه أمام يد القانون ليحميها فتخترق يد القانون صدره شهد تصرخ: «ســـــامر!!!»

سامر يرتجف صدره ينفتح العدم داخله ينفجر النور ينهار يسقط على ركبتيه عيونه تتأرجح بين الضوء والسواد يسعل دمًا أسودًا ثم يضحك:

«لازلت على قيد الحياة»

شهد تزحف إليه والدموع تلمع في عينيها: «سامر... لا...لا تتركني...» صوته يخرج ضعيفًا، لكن ثابتًا: «لن أتركك ولا حتى...لو انمحى الكون»

القانون يرفع يده ليضرب الضربة الثانية ضربة قاتلة نهائية تُمحِي شهد تنظر لسامر وهو ينظر لها ثم تفعل الشيء الذي لا يتمناه أي قانون في الكون تمدّ يدها، تمسك صدر سامر، وتفتح الوعي الشرخ يشتعل نور وظلام يندمجان الكون كله يصرخ القوانين تتراجع الوعي الأول يغطّي وجهه الأرض الضوئية تتفكك شهد تهمس بصوت آخر، قوة أخرى، قانون آخر: «أعيد كتابتك»

وسامر ينفجر بالضوء والظلام معًا الشرخ الذي فتحته شهد ليس شرخًا كالذي وُجد أول مرة هذا شرخ يولد منها، بإرادتها، بقانون جديد لم يعرفه الكون نورها يمتدّ فيه مثل خيط حياة، وظلام سامر يمتزج به مثل ظلّ يتشبّث بالوجود كي لا يختفي القانون الأكبر يصرخ

«توقّفي هذا خرقٌ لِـ الأصل!»

لكن شهد لا تسمع قوانين الكون...تسمع قلبًا واحدًا سامر تضع يدها على صدره، والنور ينساب من راحة يدها إلى جرحه المفتوح، والظلام ينساب من جرحه إلى راحة يدها اندماج...يعادل عشرة آلاف سنة من الحرب.

رياح ضوئية سوداء تلتفّ حول الاثنين وتحجبهم عن العالم

سامر يفتح عينه في مكان آخر مكان بلا سماء بلا أرض بلا أعلى ولا أسفل هو...أمام نفسه لكن ليس نفسه التي عرفها بل نسختين:

- نسخة مضيئة
- نسخة مظلمة

والاثنان ينظران إليه النور يقول: «أنت... كنت قريبًا من الاختفاء»

الظل يبتسم بحدة: «وكان هذا...بسبب ضعفك»

سامر ينحني من الألم؛ يده تبحث عن صدره ولا تجد شيئًا لا جرحًا ولا جسدًا هو وعيٌ فقط يهمس: «ليس ضعفاً...كانت حماية»

النور يقترب، يلمسه دون ألم «شهد تحاول إنقاذك لكن لا يمكنها وحدها»

الظل يشهق بسخرية: «هي تحاول أن تدمجني...وأنا لا أندمج»

سامر ينظر للظل بعين مظلمة كانت يومًا بشرية: «أنت... جزء مني»

الظل: «وأنت... جسدٌ لا يتحمّلني»

سامر يصرخ لأول مرة من قلب وجوده «تحمّلتك يوم وقفتُ بينك وبينها»

الصمت النور يبتسم الظل يتوقف سامر يكمل، بصوت لا يرتجف:

«تحمّلتك... لأن شهد تستحق أن أبقى»

هنا لأول مرة الظل يتراجع خطوة النور يومئ:

«الاختيار صار واضحًا...إما نولد...أو نفنى»

سامر يفتح ذراعيه للنسختين: «تعالوا...دعونا نولد معًا»

خارج الشرخ شهد تكاد تسقط ضوؤها ينطفئ تدريجيًا قلبها يرفرف كطائر يحترق MÖ يصرخ: «لاا، هذا كثير عليها!»

سُهَيْل يركض نحوها، لكن موجة طاقة تدفعه للخلف الوعي الأول يهمس:

«إنها...تحملُ وجودًا كاملًا...لوحدها»

القانون الأكبر يضحك: «ستموت هذا ضد قوانين الكون»

شهد ترفع رأسها، وعيناها تتوهجان بشيء جديد: «هذا...قانوني أنا»

وفجأة ينفجر الشرخ ضوء أسود ظلام مضيء تماوج مستحيل ثم شخص يسقط على الأرض على ركبتيه أمام شهد ...هدوء...هدوء قاتل

يرفع رأسه...والعيون ليست بشرية وليست ضوئية وليست ظلامية عيون تلمع بلون لم يوجد من قبل لون...هو اندماج النور والعدم معًا سامر يقف نعم سامر عاد لكن ليس كما كان الوعي الأول يهمس:

«هذا ليس النموذج الأخير هذا...شيء يتجاوز النماذج»

القانون الأكبر يتراجع: «لا...لا...هذا... تهديد...»

وسامر يحمي شهد خلفه بذراعه صوته ثابت: «لن تلمسوها»

شهد تضع يدها على ظهره، وصوتها يشبه قانونًا يولد:

«ولا تلمسوا هذا العالم»

القانون الأكبر يهجم لكن هذه المرة لا نور لا ظلام لا انفجار

سامر يرفع يده فقط وبهدوء لا يشبه الحرب، بل يشبه يقين الحقيقة:

«أنت...قانون قديم وانتهى وقتك»

القانون يتجمد يتشقق يتلاشى مثل ضوء قديم نسي أن يختفي القوانين الباقية تهرب نحو الشرخ تغلقه من الداخل تختفي الكون يهدأ الهواء يعود السماء تفتح الأرض الضوئية تستقر شهد تنهار في حضن سامر، وسامر يضمّها كأنه يضمّ العالم يهمس في أذنها: «انتهى كل شيء وبقيتي معي»

شهد تهمس: «وبقيت... أنت»

الكون عاد هادئًا... أكثر هدوء مما ينبغي الضوء استقر، الأرض الضوئية تشكّلت من جديد، والسماء صارت صافية كأنها لم تعرف حربًا قبل قليل شهد واقفة قرب سامر، يده في يدها، نبضهما واحد لكن العالم حولهما لم يعد هو العالم الذي دخلاه سُهَيْل يقترب منهما، عيناه لا تزال تحمل أثر الذهول: «يعني... انتهت؟ الحرب انتهت؟»

سامر ينظر إلى الأفق، حيث تلاشت آخر آثار الشرخ، وينطق بثقة هادئة: «انتهت...لكن ليس كل شيء انتهى»

MÖ يلتقط أنفاسه بصعوبة:

«القوانين انسحبت لكن الانسحاب ليس استسلاماً»

شهد تنظر إليه: «سيعودون؟»

يصمت MÖ لحظة، ثم يهز رأسه بقوة:

«القانون القديم لا يستسلم هو فقط يعيد الحسابات»

الوعي الأول، الذي وقف بعيدًا طوال الوقت، يتقدم إليهم الآن هدوؤه مرعب، لكن صوته لطيف بشكل غير مفهوم: «لقد ولدتما شيئًا لا تستطيع القوانين السيطرة عليه الوعي المزدوج سيغيّر شكل الوجود»

سامر يبتسم بخفة: «والكون...ليس جاهز لهذا التغيير، صح؟»

الوعي الأول ينظر إلى العدم القديم الذي تلاشى ثم إلى شهد، التي تشعّ طاقة جديدة بالكامل: «الكون...خائف منكِ»

شهد تخفض عينيها قليلًا، لكن سامر يرفع يدها ويضمّها إلى صدره يهمس لها بصوت لا يسمعه غيرها: «خافوا لم يخافوا، نحن مستعدان»

شهد تبتسم... ابتسامة ما بين القوة والطمأنينة: «دائمًا؟»

سامر يقترب منها خطوة، يحني جبينه على جبينها: «دائمًا»

سُهَيْل يقطع اللحظة: «إذاً...ماذا سيحدث الآن؟ نعود؟ نرتاح؟ أو...؟»

قبل أن يجيب أحد تهتز الأرض الخفيفة تحت أقدامهم اهتزاز بسيط لكن واضح MÖ يضع يده على صدره بخوف: «لا...هذا... ليس طبيعياً...»

الوعي الأول يرفع رأسه إلى السماء الضوء فيها يتلوّن ليس أسود...ولا ذهبي...ولا أبيض لونٌ غريب جدًا...لون لم يظهر حتى في الحرب شهد تشعر بقشعريرة في ظهرها: «سامر...ما هذا؟»

سامر يضيق عينيه، يستشعر شيئًا في داخله في الجزء الذي كان ظلامًا، وفي الجزء الذي أصبح نورًا يهمس: «هذا...ليس قانون»

وقف الجميع صامتين النفس يحبس لوحده السماء تفتح عينًا نعم عينًا

عينًا ليست قانونًا ولا وعيًا ولا عدماً شيء أقدم أعمق أخطر الوعي الأول يهمس برعب لأول مرة:

«هذا ليس من الكون القديم ولا من كوننا هذا قادم من خارج القانونين»

شهد تتراجع خطوة سامر يمدّ ذراعه يحميها

«قادم... لماذا؟» تسأل شهد الوعي الأول يرد:

«قادم لأنكما متّحدان قادم لأن التوازن الذي خلقتموه أزعج من لا نعرف اسمه»

سامر يشدّ يد شهد: «لن نعود خطوة»

شهد تهمس بصوت ثابت: «ولن نتراجع»

العين في السماء ترمش ثم تهمس بصوت كوني، تهزّ قلوبهم جميعًا:

«التوازن...ليس نهاية بل بداية»

بباب يُفتح شهد تنظر لسامر، وسامر ينظر لها صوت بعيد من السماء يقول: «المرحلة التالية... تبدأ الآن»

هذه مجرد بداية لشيءٍ أعظم.

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة

مدينة القامشلي

مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل

الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح

الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر

السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد

السابع رواية بعنوان قبل أن يراها

الثامن قصة بعنوان و كانت الصدمة

التاسع رواية بعنوان ترتيب القدر

العاشر مسرحية بعنوان النبوءة

الحادي عشر كتاب خواطر بعنوان كِلانا يبحث عني

الثاني عشر رواية بعنوان حين تكلم الموت

الثالث عشر رواية بعنوان نالت مرادها

الرابع عشر رواية بعنوان سلام فوق رماد الماضي

الخامس عشر خواطر بعنوان انا امرأة لا يعبرها الزمن

السادس عشر خواطر بعنوان على مائدة الوجدان

السابع عشر سكتشات مسرحية بعنوان من رحم المعاناة

الثامن عشر مونولوجات مسرحية بعنوان

القوة تنبع من الداخل

التاسع عشر مونولوجات مسرحية بعنوان أنا و الحياة

العشرون مونولوجات مسرحية بعنوان علمتني التجارب

الحادي والعشرون رواية خيالية بعنوان لم نخرج سالمين